أهوال القيامة

تأليف
عبدالملك علي الكليب

منشورات
عالم الشباب
بيروت - لبنان

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إنَّ هذه يا عبدَ الله تبصرةٌ مُهداةٌ إليكَ في زمانٍ لا يَنصحُ الناسُ فيه ولا يَنْتَصِحُون ولا بمن ماتَ يَعْتَبِرُون وهم في كل يومٍ يَرذلون، وقد قيل: إن أَخاكَ من نصحك في دينِكَ وبصَّرَكَ عيوبك وهداكَ إلى مراشِدكَ، وإن عدوكَ من غرَّك ومنَّاكَ.

ألا فاعلم يا عبدَ الله أن هذه الدنيا مدبرةٌ فانيةٌ ثم المردُّ إلى اللَّهِ تعالى وإلى جنةٍ أو نارٍ خلودٌ بلا موت، وإقامةٌ بلا ظَعن، قالَ اللَّهُ جَلَّ ثناؤه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ[1]﴾ [لقمان: ٣٣]. ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦].

وقالَ اللَّهُ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [التوبة: ٣٨].

وقالَ تعالى: ﴿وَفَرِحُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ﴾ [الرّعد: ٢٦].

---

(١) يعني الشيطان.

وقالَ رسولِ اللَّهِ ﷺ: «تَعِسَ عبدُ الدِينارِ وعبدُ الدِّرهَم وعبدُ الخَميصة[١] إن أُعطِيَ رضِيَ وإن لم يُعطَ سخِطَ، تعسَ وانتَكس[٢] وإذا شِيْكَ فلا انتَقَشَ[٣]، طوبى لعبدٍ آخذٍ بعِنانِ فرسِهِ في سبيلِ اللَّهِ أشعثَ رأْسُهُ مغْبَرَّةٍ قدماه، إن كان في الحِراسةِ كان في الحراسةِ وإن كان في الساقةِ[٤] كان في الساقةِ إن استأذَنَ لم يُؤذَنْ لَهُ وإن شَفَعَ لم يُشَفَّعْ»[٥].

كم من صاحبٍ لي لو شئتُ سَمَّيتُهُ أَطلق نفسَه في شهواتِها ووقع أسيرَ اللذةِ وغفلَ عن ذكرِ الموتِ والحسابِ، فلما هداني اللَّهُ عزّ وجلّ لطاعتهِ وامتثالِ وتحقيق مخافته فَزعتُ إلى صاحبي أنصحُه وأُرغِّبُه وأُرْهبه فما كان منه إلا أن اعتذر بشبابه، وغرَّهُ طولُ الأمل، فواللهِ لقد فاجأه الموتُ فأصبحَ اليومَ في الترابِ دفينًا، وصار بما قدم من السيئات مرتبطًا رهينًا، ذهبتِ عنه اللذات، وفارقته الغانيات وبقيت في عنقه التبعاتُ وأَقبل على الجبارِ بأعمالِ الفَسَقَةِ الفَجَّارِ، أعاذني الله وإياك من صحيفةٍ كصحيفته ومن خاتمةٍ كخاتمته. فاتقِ الله يا عبدَ الله ولا يَكن مثلك كمثلِهِ وأنت تعلم أن هذه قد ارتحلت مدبرة، وأَن الآخرة قد ارتحلت مقبلة، واذكر ساعةَ الموتِ والانتقال وما يتمثلُ لديك ساعتها من كثرة السيئات وقلّة الحسنات فما وددت عَمَلَه في تلك الساعةِ فعجِّلْ بعمله من اليوم وما وددت اجتنابه فمن الآن:

فلو أنَّا إذا مِتنا تُركنا ... لكان الموتُ راحةَ كُلِّ حَيّ
ولكنا إذا متنا بُعثنا ... ونُسألُ بعدَهُ عن كُلِّ شَيّ

وقد اجتهدتُ أن أعرض عليك يا عبدَ الله في هذه الرسالةِ ما يكونُ من أَحوالِ البرزخِ والمعاد من ساعةِ مفارقةِ الروحِ الجسدَ حتى يدخل أَهلُ الجنةِ

---

(١) الخميصة: كساء أسود مُعَلَّم من الخزّ أو الصوف.
(٢) دعاء عليه: أي عاوده المرض.
(٣) أي إذا دخلت فيه شوكة فلا وجد من يخرجها بالمنقاش.
(٤) الساقة: مؤخرة الجيش، أي أنه متواضع لا يقصد السمو، راضٍ بما يقسم له.
(٥) الفتح ٦/ ٤٢٢.

الجنـةَ وأَهلُ النارِ النارَ وذلك من الكتاب الكَريم والسُّنةِ الصحيحة فالله يا عبدَ الله إياك إياك وطولَ الأمَل، فإن الموتَ قد يبغت.

أَسأَلُ اللَّهَ عزّ وجلّ أَن يهدي بهذه التبصرةِ خلقًا كثيرًا من عباده الغافلين، وأَن يجعل فيها عونًا لعباده الصالحين المشتاقين، وأَن يُثقلَ بفضله ورحمته بها يوم الحساب ميزاني، وأَن يجعلها من الأَعمال التي لا ينقطع عني نفعها بعد أَن أُدرجَ في أَكفاني، وأنا سائلٌ أَخًا انتفع بشيء مما فيها أَن يدعو لي ولوالديَّ وللمسلمين أَجمعين، وعلى رب العالمين اعتمادي وإِليه تفويضي واستنادي وحسبي الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلّا بالله العزيز الحكيم.

عبد الملك الكليب

الكويت في ٤ جمادى الآخرة سنة ١٣٩٩

العذابُ وَالنعيم في البرزَخ

اعلم يا عبدَ اللَّهِ أَنَّ القبر أولُ منازلِ الآخرة وأَنه من مات قامت قيامتُه الصغرى وأَن العبد إذا قُبِرَ عُرِضَ عليه مقعدُه بالغداة ـ أي ما بين الفجر وشروق الشمس ـ والعشي ـ أَي ما بين الظهر والغروب ـ إن كان من أهلِ الجنة فمن أَهل الجنة وإِن كان من أَهلِ النار فمن أَهل النار ويُفْسَحُ للمؤمن في قبره سبعون ذراعًا ويُملأُ عليه خَضِرًا إلى يوم يبعثون، أَما الكافر فيُضرب بمطارق من حديد ويُضَيَّقُ عليه قَبرُه حتى تختلفَ فيه أضلاعُه.

أحوال الاحتضار وصعود الأرواح
وما يكون من العذاب والنعيم في القبر

قـالَ الـلَّهُ عـزَّ وَجـلَّ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠].

وقالَ اللَّهُ عَزَّ وَجلَّ: ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر: ٤٥، ٤٦].

١ ـ وعنِ البراءِ بْنِ عَازِبٍ رضِي اللَّهُ عنهما قالَ: خرجنا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ في جنَازةِ رجلٍ من الأنصارِ فانتهينا إلى القبرِ ولَمَّا يُلْحَدُ[1] بَعد، فجلس رسولُ

---

(١) اللَّحد: هو الشق الذي يكون في قبلة القبر موضع الميت.

اللَّهِ ﷺ وجلسنَا حولَه كأَنَّما على رؤوسِنا الطير وبيده عودٌ ينكُتُ[١] به في الأَرض فرفع رأْسه فقال: «تعوذوا بالله من عذاب القبر» ـ مرتين أو ثلاثًا ـ ثم قال: «إن العَبدَ المؤمنَ إذا كان في انقطاعٍ من الدنيا وإقبالٍ من الآخرة نزل إليه ملائكةٌ من السماء بيضُ الوجوهِ كأن وجوهَهُمُ الشمسُ، معهُم كفنٌ من أكفانِ الجنةِ وحنوطٌ[٢] من حَنوطِ الجنةِ حتى يجلسوا منه مدَّ البصَر ويجيءُ مَلَكُ الموتِ عليه السلام حتى يجلسَ عند رأْسِهِ فيقول: أيتها النفسُ الطيبَةُ اخرجي إلى مغفرةٍ من اللَّهِ ورضوان، قال: فتخرجُ فتسيلُ كما تسيلُ القَطرةُ من فِي السِّقاءِ، فيأْخذُها فإذا أَخَذها لم يدَعُوها في يدهِ طرفة عينٍ حتى يأْخذوها فيجعلوها في ذلك الكفنِ وفي ذلك الحنوطِ ويخرجُ منه كأطيبِ نفحةِ مِسكٍ وُجدت على وجهِ الأرضِ، قال: فيصعدون بها، فلا يمرونَ على ملإٍ[٣] منَ الملائكَةِ إلَّا قالوا: ما هذا الروحُ الطيِّبُ؟ فيقولون: فلانُ ابنُ فلانٍ بأحسنِ أسمائهِ التي كان يُسمى بها في الدنيا حتى ينتهُوا بها إلى السماءِ الدنيا فَيَسْتَفْتِحون له فيُفْتَحُ له فيُشيعه من كلِّ سماءٍ مُقربوها إلى السماءِ التي تليها حتى يُنتهى بها إلى السماءِ السابعةِ فيقول اللَّهُ عزَّ وجلَّ: اكتبوا كتابَ عبدِي في عِلِّيِّين[٤] وأعيدوه إلى الأرضِ في جسدِهِ، فيَأْتيهِ مَلكان فيُجْلِسانِهِ فيقولان: من ربُّك؟ فيقول: ربِّيَ الله، فيقولان: ما دينُك؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان: ما هذا الرجلُ الذي بُعِثَ فيكم؟ فيقول: هو رسول الله، فيقولان: ما يُدريك؟ فيقول: قرأت كتابَ اللَّهِ وآمنتُ به وصدَّقته، فينادي مُنادٍ منَ السماءِ: أن قد صدَقَ عبدِي فأَفرِشوهُ من الجنَّة وافتحوا له بابًا إلى الجنة، قال: فيأْتيه من رَوحِها وطِيبها ويُفسحُ له في قبره مَدَّ بصرِهِ، قال: ويأْتيه رجلٌ حسنُ الوجهِ، حسنُ

(١) ينكُت: أي يضرب بطرفه الأرض ضربًا يؤثر فيها.
(٢) الحنوط: طِيبٌ يخلط للميت خاصة تكون له رائحة طيبة.
(٣) ملأ: أي جماعة.
(٤) عِلِّيُّون: من العلو وقيل: هي السماء السابعة وفيها أرواح المؤمنين.

الثيابِ، طيِّبُ الرِّيحِ فيقول: أبْشِر بالذي يَسُرُّكَ هذا يومُكَ الذي كنتَ توعدُ فيقولُ له: من أنتَ فوجهُكَ الوجهُ يجيءُ بالخير؟ فيقول: أنا عملُك الصالحُ. فيقول: ربِّ أقِمِ الساعَةَ ربِّ أقِمِ الساعَةَ حتى أرجعَ إلى أهلي ومالي.

وإنَّ العبدَ الكافرَ إذا كان في انقطاعٍ من الدنيا وإقبالٍ منَ الآخرةِ نَزَلَ إليهِ ملائكةٌ سودُ الوجوهِ معهُمُ المُسوح(١) فيجلسون منه مدَّ البصرِ ثم يجيء ملك الموتِ(٢) حتى يجلس عند رأسهِ فيقول: أيتها النفسُ الخبيثَةُ اخرجي إلى سخطٍ من اللَّه وغضب فتفرَّقُ في جسدِهِ فينتزعُها كما يُنتزعُ السُّفودُ(٣) من الصُّوفِ المبلولِ فيأخذُها فإذا أخذَها لم يدَعُوها في يدهِ طَرفةَ عينٍ حتى يجعلوها في تلك المسوحِ ويخرجُ منها كأنتنِ جيفةٍ وُجدت على وجهِ الأرض فيصعدون بها فلا يمرُّون بها على ملإٍ من الملائكة إلا قالوا: ما هذه الريح الخبيثة؟ فيقولون: فلانُ ابن فلانٍ بأقبحِ أسمائهِ التي كان يُسمَّى بها في الدنيا حتى يُنتهى بها إلى السماء الدنيا فيُستفتحُ فلا يُفْتَحُ له، ثم قرأ رسولُ الله ﷺ: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠] فيقول الله عزّ وجلّ: اكتبوا كتابه في سِجِّين(٤) في الأرض السُّفلى ثم تطرحُ روحُهُ طرحًا ثم قرأ ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١] فتعادُ روحه في جسده ويأتِيْهِ ملكانِ فيُجلِسانه فَيقولانِ له: من رَبُّك؟ فيقول: هاهْ هاهْ لا أدري قال: فيقولانِ له: ما دينُكَ؟ فيقول: هاهْ هاهْ لا أدرِي قال فيقولانِ له: ما هذا الرجلُ الذي بُعِثَ فيكم؟ فيقول: هاهْ هاهْ لا أَدرِي فينادِي منادٍ منَ السماءِ: أنْ كَذَبَ فأفرِشُوْهُ من النارِ وافتحوا لهُ بابًا إلى النَّار، فيأْتيه من حرِّها وَسمومها ويُضَيَّقُ عليه قبرُهُ حتى تختلِفَ فيه أضلاعُه ويأْتيه رجلٌ قَبيحُ الوجهِ قَبيحُ الثيابِ منتنُ الرِّيحِ فيقول: أبشِرْ بالذي يسوؤك هذا

(١) المسوح: جمع مسح وهو كساء من الشعر.
(٢) لم يأت في السنة الصحيحة أن اسم ملك الموت عزرائيل ولعله من الإسرائيليات.
(٣) السفود: حديدة ذات شعب معقفة. (٤) سجين: أي في سجن وضيق.

يومُكَ الذي كنتَ توعد، فيقول: منْ أَنتَ فوجهُكَ الوجهُ القبيح يجيءُ بالشَّرِّ؟ فيقول: أنا عملُكَ الخبيثُ، فيقول: ربِّ لا تُقِمِ الساعَةَ» رواه أحمد[١] وأبو داود[٢] والحاكم[٣] وقال: صحيح على شرط الشيخين وأقرَّه الذهبي والألباني[٤].

سؤالُ المَلَكيْن

٢ ـ وعن أنسِ بن مالك رضي الله عنه قال: قال نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ: «إنَّ العبدَ إذا وُضِعَ في قبره وتولى عنه أصحابُه، إنَّهُ لَيسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِم قال: يأتيه مَلَكانِ فيُقعِدَانه فيقولانِ له: ما كنتَ تقولُ في هذا الرَّجُل؟ قال: فأَما المؤمنُ فيقول: أشهدُ أَنَّهُ عبدُ اللَّهِ ورسولُه، قال: فيُقالُ له: انْظُرْ إلى مقعدِكَ من النار قد أَبدلك الله بهِ مقعدًا من الجنة» قال نبي الله ﷺ: «فيراهما جميعًا» قال قتادة: وذُكِرَ لنا أنه يُفسَحُ له في قبرِهِ سبعون ذِراعًا ويُملأ عليه خَضِرًا إلى يوم يبعثون، ثم رجع إلى حديث أنس قال: «وأَما المنافقُ والكافرُ فيُقال له: ما كنتَ تقولُ في هذا الرجُلِ؟ فيقول: لا أَدْرِي كنتُ أقولُ ما يقولُه الناسُ فيُقال: لا دَرَيْت ولا تَلَيْت ويُضْرَبُ بِمَطَارِقَ مِنْ حَدِيدٍ ضَربةً فَيصِيحُ صَيْحةً يسمعها من يَلِيهِ غيرَ الثَّقَلَين»[٥] متفق عليه[٦].

المنكر والنكير حق

٣ ـ وعن أبي هُريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قُبِرَ الميِّتُ ـ أَو قال أحدُكُم ـ أتاه مَلَكانِ أسْوَدانِ أزرقانِ[٧] يُقال لأحدهما المنكرُ وللآخر النَّكِيرُ فيقولان: ما كُنْتَ تقولُ في هذا الرجل؟ فيقول: هو عبدُ اللَّهِ

(١) المسند ٤/ ٢٨٧.
(٢) السنن ٢/ ٥٤٠.
(٣) المستدرك ١/ ٣٧.
(٤) أحكام الجنائز ١٥٩.
(٥) الثقلان: الجن والإنس.
(٦) الفتح ٣/ ٤٨٠ ومسلم ٢٢٠٠.
(٧) أي أعينهما لِمَا لهذه الصفة من الهول على المقبور.

ورسولُه، أشهدُ أن لا إلـه إلا الله وأَنَّ مُحمدًا عبدُه ورسولُه، فيقولان: قد كنا نعلَمُ أنك تقول هذا ثم يُفسح له في قبره سبعون ذراعًا في سبعين ثم يُنَوَّرُ له فيه. ثم يقال له: نم فيقول: أرجع إلى أهلي فأخبِرُهم فيقولان: نم كنومَةِ العروس الذي لا يوقِظه إلا أحبُّ أهلِه إليه حتى يَبْعَثَهُ اللّهُ من مَضْجَعِهِ ذلِكَ، وإن كانَ منافقًا فيقولان: قد كنا نعلمُ أنك تقول ذلك، فيقال للأرض: التئمي عليه فتلتئِمُ عليه فتختلفُ فيها أضلاعُه[١] فلا يزالُ فيها مُعَذَّبًا حتى يبعَثَهُ اللّهُ من مضجَعِهِ ذلك» رواه الترمذي وقال: حديث حسن غريب[٢] وقال الألباني: سنده حسن وهو على شرط مسلم[٣].

ضغطة القبر وضمّته

٤ ـ وعن عائشةَ رضي اللّهُ عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «إن للقبرِ ضغطةً لو كان أحدٌ ناجيًا منها نجا سعدُ بنُ معاذ» رواه أحمد[٤] وصححه الألباني[٥].

صورٌ من عذابِ البَرْزَخِ

٥ ـ وعن سمرةَ بن جندب رضي اللّهُ عنه قال: كان رسولُ اللّهِ ﷺ مما يُكْثِرُ أن يقول لأَصحابه: «هل رأى أحدٌ منكم من رؤيا؟» فَيَقُصُّ عليه مَنْ شاء اللّهُ أن يَقُصَّ وإنه قال لنا ذاتَ غَداةٍ: «إنَّه أتاني الليلَةَ آتيانِ، وإنهما ابتعثاني، وإنهما قالا لي: انْطَلِقْ وإني انطلقتُ مَعَهما، وإنَّا أتينا على رَجلٍ مُضْطَجعٍ، وإذا آخرُ قائمٌ عليهِ بصخرةٍ وإذا هوَ يَهوِي بالصخرةِ لِرأسِهِ فَيَثْلَغُ[٦] رَأْسَهُ، فَيَتَدَهْدَهُ[٧] الحجرُ هـٰهُنا فَيَتْبَعُ الحجرَ فيأْخذُهُ، فلا يَرجعُ إِليهِ حتى يَصِحَّ رأْسُه كما كان، ثم

---

(١) أي: يتداخل بعضها في بعض.
(٢) السنن ٤/ ٢٩١.
(٣) المشكاة ١/ ٤٧.
(٤) المسند ٦/ ٩٨.
(٥) صحيح الجامع ٢/ ٢٣٦.
(٦) أي يشدخ.
(٧) أي يتدحرج.

يعودُ عليهِ فيفعلُ بهِ مثلَ ما فعلَ المرَّةَ الأولى، قال: قلتُ لهما: سُبحانَ اللَّهِ ما هَذان؟ قال: قالا لي: انطلق قال: فانطلقنا فأتينا على رَجُلٍ مستلقٍ لِقَفَاهُ، وإذا آخَرُ قائمٌ عليهِ بكَلُّوبٍ[١] من حديد، وإذا هو يأتي أَحدَ شِقَّي وجههِ فَيُشَرْشِرُ[٢] شِدقهُ إلى قَفاهُ ومنخِرهُ إلى قَفاه، وعينَهُ إلى قَفاهُ، قال: وربما قال أبو رَجاء: فيشُقُّ، قال: ثم يتحولُ إلى الجانبِ الآخَرِ فيفعلُ به مثلَ ما فعلَ بالجانبِ الأولِ، فما يَفرُغُ من ذلكَ الجانبِ حتى يَصِحَّ ذلك الجانبُ كما كان، ثم يعودُ عليهِ فيفعلُ مثلَ ما فَعلَ المرةَ الأولى. قال: قلت: سبحانَ اللَّهِ ما هذان؟ قال: قالا لي: انطلق، فانطلقنا فأتينا على مثل التَّنُّورِ، قال: وأحسبُ أنه كان يقول: فإذا فيه لَغَطٌ[٣] وأصواتٌ قال: فاطَّلعنا فيهِ، فإذا فيه رجالٌ ونساءٌ عراةٌ وإذا هم يأْتيهم لهبٌ من أسفلَ منهم، فإذا أتاهم ذلك اللَّهَبُ ضَوْضَوا[٤]، قال: قلت لهما: ما هؤلاء؟ قال: قالا لي: انطلق انطلق، قال: فانطلقنا فأَتينا على نهرٍ حسِبْتُ أنه كان يقولُ: أحْمَرَ مثلِ الدَّمِ، وإذا في النهرِ رجلٌ سابحٌ يَسْبَحُ، وإذا على شطِّ النهرِ رجلٌ قد جَمَعَ عندهُ حجارةً كثيرةً وإذا ذلكَ السابحُ يسبحُ، ثم يأْتي ذلكَ الذي قد جمعَ عندهُ الحجارةَ فَيَفْغَرُ له فاهُ[٥]، فيُلقِمُهُ حَجَرًا، فينطلقُ يَسبحُ، ثم يرجِعُ إليه، كلما رَجَعَ إليه فَغَرَ فاهُ فألقمهُ حجرًا. قال: قلت لهما: ما هذان؟ قال: قالا لي: انطلق انطلق، فانطلقنا فأتينا على رجلٍ كريهِ المرآةِ كأكرهِ ما أنتَ راءٍ رجلًا مرآةً، وإذا عندهُ نارٌ يَحُشُّها[٦] ويَسعى حولها، قال: قلت لهما: ما هذا؟ قال: قالا لي: انطلق انطلق، فانطلقنا فأتينا على روضةٍ مُعْتَمَّةٍ[٧] فيها من كل نَوْرِ[٨] الربيع، وإذا بينَ ظَهْرَي الروضةِ رجلٌ طويلٌ لا أَكادُ أَرى رأْسَهُ طولًا في السماء، وإذا حولَ الرجلِ من أكثرِ ولدانٍ رأَيتُهم قط قال:

---

(١) الكلوب: حديدة معوجة الرأس.
(٢) أي يشق.
(٣) أي صخب.
(٤) أي صاحوا فزعين.
(٥) أي يفتح فمه.
(٦) أي يوقدها.
(٧) أي طويلة النبات.
(٨) أي زهر.

قلتُ لهما: ما هذا؟ ما هؤلاء؟ قال: قالا لي: انطلق انطلق قال: فانطلقنا فانتهينا إلى روضةٍ عظيمةٍ لم أر روضةً قطُّ أعظمَ منها ولا أحسن، قال: قالا لي: ارقَ، فارتقيتُ فيها قال: فارتقينا فيها فانتَهينا إلى مدينةٍ مبنيةٍ بِلَبِنِ ذَهَبٍ ولَبِنِ فَضَّة، فأتينا بابَ المدينةِ فاستَفتحنا ففُتِحَ لنا، فدخلناها فتلقانا فيها رجالٌ شَطرٌ من خَلقِهم كأحسنِ ما أَنتَ راءٍ، وشطرٌ كأقبحِ ما أنتَ راءٍ، قال: قالا لهم: اذهَبوا فقَعوا في ذلك النَّهرِ، قال: وإذا نَهرٌ معترضٌ يجري كأنَّ ماءَهُ المحضُ[1] في البَياض، فذهبوا فوقعوا فيه، ثم رَجعوا إلينا قد ذهب ذلك السوءُ عنهم، فصاروا في أحسنِ صورةٍ، قال: قالا لي: هذه جنةُ عَدْنٍ وهذاك منزِلك، قال: فسَمَا بصري صُعُدًا، فإذا قصرٌ مثلُ الرَّبَابَةِ[2] البيضاء قال: قالا لي: هذاك منزلك، قال: قلت لهما: بارك اللَّهُ فيكما ذراني فأدخُلَهُ قالا: أما الآن فلا، وأنتَ داخِلُه، قال: قلت لهما: فإني قد رأَيتُ منذُ الليلةِ عجبًا فما هذا الذي رأَيتُ؟ قال: قالا لي: إنا سنُخبرك، أما الرجل الأول الذي أتيتَ عَليه يُثلغ رأسُه بالحجرِ فإنه الرجلُ يأخذُ القرآنَ فيرفضُه وينامُ عن الصلاةِ المكتوبةِ، وأما الرجلُ الذي أتيتَ علَيه يُشَرْشَرُ شدقهُ إلى قفاه، ومَنْخِرُهُ وعينهُ إلى قفاه فإنه الرجلُ يغدو من بيتِهِ فيكذبُ الكَذْبَةَ تبلُغُ الآفاقَ، وأما الرجالُ والنِساءُ العراةُ الذينَ في مثلِ بناءِ التنورِ فهمُ الزُّناةُ والزواني، وأما الرجلُ الذي أتيتَ عليه يَسبحُ في النهرِ ويُلقمُ الحجرَ، فَإنه آكلُ الرِّبَا، وأما الرجلُ الكريهُ المَرآةِ الذي عندَ النارِ يَحُشُّها ويَسعى حولَها فإنَّهُ مالكٌ خازِنُ جهنم، وأما الرجلُ الطويلُ الذي في الروضةِ فإنه إبراهيمُ ﷺ وأما الولدانُ الذين حولهُ فكلُّ مولودٍ ماتَ على الفطرةِ» قال: فقال بعضُ المسلمينَ: يا رسولَ اللَّهِ، وأولادُ المشركين؟ فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «وأولادُ المشركينَ، وأما القومُ الذينَ كانوا شطرٌ منهم حسنًا وشطرٌ قبيحًا، فإنهم قومٌ خلطوا عملًا صالحًا وآخرَ سيئًا تجاوزَ لله عنهم» رواه

---

(١) أي الخالص.

(٢) الربابة: أي السحابة البيضاء.

البخاري[١] ووقع التصريح بعذاب البرزخ في رواية أُخرى عندَ البخاري قال: «أما الذي رأيتَهُ يُشَقُّ شِدقهُ فكذابٌ يُحدِّثُ بالكَذِبَةِ فتُحمل عنه حتى تبلغ الآفاق، فيُصنعُ به ما رأيتَ إلى يومِ القيامةِ. والذي رأيته يُشدخُ رأسهُ فرجلٌ علَّمه الله القرآن فنامَ عنه بالليل ولم يعمل فيه بالنهارِ يفعلُ به إلى يوم القيامة. . .»[٢].

٦ - وعن أنس بْنِ مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لما عَرَجَ بي رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ مررتُ بقومٍ لهم أظفارٌ من نحاسٍ يَخْمِشونَ وجوهَهُمْ وصُدورَهُمْ فقلتُ: من هؤلاءِ يا جبريلُ؟ قالَ: هؤلاءِ الذينَ يأْكُلونَ لُحومَ الناسِ ويقعونَ في أعراضِهِمْ» رواه أَحمد[٣] وصَححه الأَلباني[٤].

أقوال السَّلف في عذاب القبر

قال شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: مذهبُ سلفِ الأمةِ وأئمتها أن الميِّتَ إذا مات يكون في نعيم أو عَذاب وأن ذلكَ يحصل لروحه ولبَدَنِهِ وأن الروحَ تبقى بعد مفارقةِ البدن منعمةً أو معذبةً وأنها تتصل بالبدن أحيانًا فيحصل له معها النعيم والعذاب ثم إذا كان يومُ القيامةِ الكبرى أُعيدت الأرواحُ إلى أجسادِها وقاموا من قبورِهم لربِ العالمين[٥] وقال النووي رحمه الله: اعلم أن مذهبَ أهلِ السُّنةِ إثباتُ عذابِ القبرِ وقد تظاهرت عليه دلائلُ الكتابِ والسنةِ، قال اللَّهُ تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗا﴾ [غافر: ٤٦] وتظاهرت به الأحاديثُ الصحيحةُ عن النبيّ ﷺ من روايةِ جماعةٍ من الصحابةِ في مواطنَ كثيرةٍ ولا يمتنعُ في العقلِ أن يُعيدَ اللَّهُ تعالى الحياةَ في جزءٍ من الجسدِ ويعذبَه، وإذا لم يمنعْهُ العقلُ ووردَ الشرعُ به وجبَ قَبُولُهُ واعتقادُه.

---

(١) الفتح ١٦/ ٩٩.
(٢) الفتح ٣/ ٤٩٥.
(٣) المسند ٣/ ٢٤٤.
(٤) صحيح الجامع الصغير ٥/ ٥١.
(٥) مجموع الفتاوى ٤/ ٢٨٤.

ثم قال: والمقصودُ أن مذهبَ أهلِ السنةِ إثباتُ عذابِ القبرِ كما ذكرنا خلافًا للخوارج ومعظم المعتزلة وبعض المرجئة الذين نفوا ذلك.

وقال أيضًا: ولا يمنع من ذلك - يعني عذاب القبر - كَوْنُ الميتِ قد تفرّقت أجزاؤه كما نشاهد في العادة أو أكلته السباع أو حيتان البحر أو نحو ذلك فكما أن الله تعالى يعيده للحشر وهو سبحانه وتعالى قادر على ذلك فكذا يعيد الحياة إلى جزء منه أو أجزاء وإن أكلته السباع والحيتان، فإن قيل: فنحن نشاهد الميت على حاله في قبره فكيف يُسأَل ويُقعد ويُضرب بمطارق من حديد ولا يظهر له أثر؟ فالجواب أن ذلك غير ممتنع بل له نظير في العادة وهو النائم فإنه يجد لذةً وآلامًا لا نحِسُّ نحن شيئًا منها وكذا يجد اليقظان لذة وألمًا لما يسمعه أو يفكر فيه ولا يشاهد ذلك جليسُه منه، وكذا كان جبريل عليه السلام يأتي النبيّ ﷺ فيخبره بالوحي الكريم ولا يدركه الحاضرون وكل هذا ظاهر جليّ والله أعلم. انتهى ملخصًا[١].

بيان مستقر الأرواح
ما بين الموت إلى يوم القيامة وتفاوتها فيه

قال ابن القيم رحمه الله: والأَرواح متفاوتةٌ في مستقرّها في البرزخ أعظم تفاوت.

* فمنها أرواح في أعلى عليين في الملأ الأعلى وهي أرواح الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم وهم متفاوتون في منازلهم كما رآهم النبيّ ﷺ ليلة الإسراء.

* ومنها أَرواح في حواصل طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت وهي أرواح بعض الشهداء لا جميعهم، بل من الشهداء من تُحبس روحه عن دخول الجنة لِدَين عليه أو غيره كما في المسند عن محمد بن عبد الله بن جحش أن

(١) شرح مسلم ١٧/ ٢٠٠.

رجلًا جاء إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم فقال: يا رسول الله ما لي إن قُتلت في سبيل الله؟ قال: «الجنة» فلما ولّى قال: «إلا الدَّين سارَّني به جبريل آنفًا».

* ومنهم من يكون محبوسًا على باب الجنة كما في الحديث الآخر: «رأيت صاحبكم محبوسًا على باب الجنة».

* ومنهم من يكون محبوسًا في قبره كحديث صاحب الشملة التي غلها ثم استشهد فقال الناس: هنيئًا له الجنة فقال النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: «والذي نفسي بيده إن الشملة التي غلها لتشتعل عليه نارًا في قبره».

* ومنهم من يكونُ مقرّه باب الجنة كما في حديث ابن عباس: «الشهداء على بارق نهرٍ بباب الجنة في قبةٍ خضراءَ يخرج عليهم رزقُهم من الجنة بكرةً وعشية» رواه أحمد وهذا بخلاف جعفر بن أبي طالب حيث أبدله الله عن يديه جناحين يطير بهما في الجنة حيث شاء.

* ومنهم من يكون محبوسًا في الأَرض لم تعلُ روحُه إلى الملأِ الأَعلى فإنها كانت روحًا سفلية أَرضية، فإن الأَنفس الأَرضية لا تجامع الأنفس السماوية كما لا تجامعها في الدنيا، والنفس التي لم تكتسب في الدنيا معرفة ربِّها ومحبته وذكره والأُنسَ به والتقرّب إليه بل هي أَرضية سفلية لا تكون بعد المفارقة لبدنها إلا هناك، كما أن النفس العلويةَ التي كانت في الدنيا عاكفةً على محبة الله وذكره والتقرّب إليه والأُنسِ به تكون بعد المفارقةِ مع الأَرواح العلوية المناسبة لها فالمرءُ مع من أحب في البرزخ ويوم القيامة، والله تعالى يزوّج النفوس بعضها ببعض في البرزخ ويوم المعاد وَيَجْعَلُ روحه (يعني المؤمن) مع النسم الطيب أي الأرواح الطيبة المشاكلة، فالروح بعد المفارقة تلحق بأَشكالها وأَخواتها وأَصحاب عملها فتكون معهم هناك.

* ومنها أرواحٌ تكون في تنورِ الزناةِ والزواني، وأرواحٌ في نهرِ الدمِ تسبح فيه وتُلقمُ الحجارةَ، فليس للأَرواح سعيدُها وشقيُّها مستقرٌّ واحدٌ، بل روحٌ في أعلى عليين وروح أَرضية سفلية لا تصعد عن الأَرض.

ثم قال رحمه الله: وأَنت إذا تأملت السنن والآثار في هذا الباب وكان لكَ بها فضل اعتناء عرفت حجة ذلك، ولا تظن أن بين الآثار الصحيحة في هذا الباب تعارضًا فإنها كلها حق يصدِّق بعضُها بعضًا، لكن الشأن في فهمها ومعرفة النفس وأحكامها وأن لها شأنًا غير شأن البدن، وأَنها مع كونها في الجنة فهي في السماء وتتصل بفناء القبر وبالبدن فيه، وهي أسرع شيء حركةً وانتقالًا وصعودًا وهبوطًا وأَنها تنقسم إلى مرسلةٍ ومحبوسةٍ وعلوية وسفلية، ولها بعد المفارقة صحة ومرضٌ ولذةٌ ونعيمٌ وأَلمٌ أَعظمُ مما كان لها حالَ اتصالها بالبدن بكثير. فهنالك الحبسُ والأَلمُ والعذابُ والمرضُ والحسرةُ، وهنالك اللذةُ والراحةُ والنعيمُ والإطلاقُ وما أشبه حالها في هذا البدن بحال ولد في بطن أُمه وحالها بعد المفارقة بحالهِ بعد خروجه من البطن إلى هذه الدار، فلهذه الأنفسِ أربعُ دورٍ كلُّ دارٍ أعظم من التي قبلها:

* الدار الأُولى في بطن الأُم وذلك الحصر والضيق والغم والظلمات الثلاث.

* والدار الثانيةُ هي الدار التي نشأت فيها وألفتها واكتسبت فيها الخير والشر وأَسباب السعادة والشقاوة.

* والدارُ الثالثةُ دارُ البرزخ وهي أَوسع من هذه الدار وأَعظم، بل نسبتها إليها كنسبة هذه الدار إلى الأُولى.

* والدارُ الرابعةُ دارُ القرار وهي الجنة أو النار فلا دار بعدها والله ينقلها في هذه الدور طبقًا بعد طبق حتى يبلغها الدار التي لا يصلح لها غيرها ولا يليق بها سواها وهي التي خُلقت لها وهُيِّئت للعمل الموصل إليها، ولها في كل دار من هذه الدور حُكْمٌ وشأن غير شأن الدار الأُخرى، فتبارك الله فاطرها ومنشئها ومُميتها ومُحييها ومُسعِدُها ومُشقيها الذي فاوت بينها في درجات سعادتها وشقاوتها كما فاوت بينها في مراتب علومها وأعمالها وقواها وأخلاقها، فمن

عرفها كما ينبغي شهد أن لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له، له الملك كله وله الحمد كله وبيده الخير كله وإليه يُرجَعُ الأَمرُ كلُّه وله القوة كلها والقدرة كلها والعز كله والحكمة كلها والكمال المطلق من جميع الوجوه وعرف بمعرفة نفسه صدق أنبيائه ورسله وأن الذي جاؤوا به هو الحق الذي تشهد به العقول وتُقِر به الفِطر وما خالفه هو الباطل وبالله التوفيق[١].

* * *

(١) الروح ١١٥/١١٧.

قيامُ السَّاعَة

فإذا اقتربَ الوعدُ الحقُّ أمرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْمَلكَ الموكل بالنفخِ في الصُور[1] فنفخ فيه نفخةً واحدةً، فحملت الأَرضُ والجبالُ فدكّتا دَكَّةً واحدةً، وتشققت السماءُ، وتناثرت الكواكبُ وطُمِست النجومُ فذهب ضوءُها وفجرت البحارُ وصعق[2] أشرارُ الناسِ لِمَا ظهرَ لهم من أهوالِ يوم القيامة وزلازلها وأَحوالَها فقد عاينوا ما يوعدون وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون.

قال اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝١ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ۝٢﴾ [الحج: ١، ٢].

وقال الله تبارك وتعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ۝١٣ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ۝١٤ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١٥ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ[3] ۝١٦ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَآۚ[4] وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ۝١٧ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ۝١٨﴾ [الحاقة: ١٣ - ١٨].

وقالَ اللَّهُ جلَّ ثناؤه: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ۝٤ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ۝٥﴾ [الانفطار: ١ - ٥].

---

(١) الصور: قرن ينفخ فيه وهو كهيئة البوق.
(٢) صعق: أي مات.
(٣) أي منخرقة.
(٤) أي على حافاتها وأطرافها.

وقال الله جلَّت قدرته: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ ۝٧ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ۝٨ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ(١) ۝٩ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ ۝١٠ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ(٢) ۝١١ لِأَىِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ۝١٢ لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ ۝١٣ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ۝١٤ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١٥﴾ [المرسلات: ٧ - ١٥].

وقالَ اللَّهُ تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ(٣) فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ۝١٠٥ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا(٤) ۝١٠٦ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا(٥) ۝١٠٧ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ(٦) وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ۝١٠٨﴾ [طه: ١٠٥ - ١٠٨].

وقالَ اللَّهُ جلَّ ذِكْرُهُ: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا(٧)﴾ [المُزمّل: ١٤].

وقالَ رَبُّنا عزَّ وَجلَّ: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً(٨) وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ۝٤٧ وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ۝٤٨ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ۝٤٩﴾ [الكهف: ٤٧ - ٤٩].

قيام الساعة على شرار الناس

٧ ـ عن عبد اللَّهِ بْنِ عمرو بن العاص رَضي اللَّهُ عنهُما قالَ: قالَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ: «يَخرجُ الدجالُ في أُمَّتِي فَيَمْكُثُ أربعينَ ـ لا أدري أَربعينَ يومًا أو أَربعينَ شهرًا أو أَربعينَ عامًا ـ فيبعثُ اللَّهُ عيسى ابنَ مريمَ كأنَّهُ عروةُ بنُ مسعودٍ فَيَطْلُبُهُ فيُهلكُهُ ثم يَمكثُ الناسُ سبعَ سنينَ ليسَ بين اثنينِ عداوةٌ، ثم يُرْسِلُ اللَّهُ

(١) أي انفطرت ووهت.
(٢) أي جمعت ليوم الفصل.
(٣) أي هل تبقى يوم القيامة أم تزول؟
(٤) أي أرضًا مستوية.
(٥) أي لا ترى في الأرض يومئذٍ واديًا ولا ربوةً ولا مكانًا منخفضًا ولا مرتفعًا.
(٦) أي لا عوج عنه.
(٧) أي تصير مثل كثيب الرمل بعدما كانت حجارة صماء.
(٨) أي ظاهرةً جلية ليس فيها معلم لأحد.

ريحًا باردةً من قِبَلِ الشامِ فلا يَبقى على وجهِ الأَرْضِ أحدٌ في قلبهِ مثقالُ ذرةٍ من خيرٍ أو إيمانٍ إلا قبضتهُ حتى لو أن أحدَكُمْ دخلَ في كبدِ جبلٍ لَدَخَلَتْهُ عليهِ حتى تقبضَهُ» قال: سمعتُها من رسولِ الله ﷺ قال: «فيبقى شرارُ الناسِ في خِفَّةِ الطيرِ وأحلامِ السباعِ[1] لا يعرفون معروفًا ولا ينكرون منكرًا فيتمثلُ لهم الشيطانُ فيقولُ: ألا تستجيبون؟ فيقولونَ: فما تأمرنا؟ فيأمُرُهم بعبادةِ الأوثانِ، وهم في ذلك دارٌّ رزقُهم حَسَنٌ عيشُهم ثم يُنفخُ في الصُّورِ فلا يسمعُه أَحدٌ إلا أَصغى ليتًا[2] ورفع ليتًا قال: وأولُ من يسمعهُ رجلٌ يلوطُ[3] حوضَ إبلِهِ فَيَصْعَقُ وَيَصْعَقُ الناسُ، ثم يرسلُ اللَّهُ ـ أو قالَ ينزلُ اللَّهُ ـ مطرًا كأَنَّهُ الطَّلُّ أو الظِّلُّ ـ نعْمانُ الشَّاكُّ ـ فَتَنْبُتُ منه أجسادُ الناسِ ثم يُنفخُ فيهِ أُخرى فإذا هم قيامٌ يَنظرون، ثم يقال: يا أيها الناسُ هَلُمَّ إِلى ربِّكم، وقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُولُوْنَ. قالَ: ثم يقالُ: أَخْرِجوا بعثَ النار فيقال: من كم؟ فيقال: من كُلِّ ألفٍ تِسْعَمائةٍ وتِسعةً وتِسْعِينَ، قال: فذاكَ يومَ يجعلُ الولدانَ شيبًا وذلكَ يومَ يُكْشَفُ عن ساقٍ» رواه مسلم[4].

النفخ في الصور

قالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ[5] ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ

(١) أي في سرعتهم إلى الشر والظلم والعدوان. (٢) الليت: صفحة العنق.
(٣) يلوط حوضه: أي يطينه ويصلحه. (٤) مسلم ٢٢٥٨.
(٥) ومنهم الشهداء والمرابطون، لقوله ﷺ: «للشهيد عند الله سبعُ خصال: يُغفر له في أول دفعة من دمه، ويُرى مقعدُه من الجنة ويُحلّى حلّة الإيمان، ويُزوَّج اثنين وسَبعين زوجةً مِنَ الحور العين، ويُجار من عذابِ القبرِ ويأمَنُ من الفزَع الأكبرِ، ويوضَعُ على رأسه تاجَ الوقارِ، الياقوتةُ منه خير من الدنيا وما فيها، ويشفع في سبعين إنسانًا من أهل بيته» رواه أحمد (٤/ ١٣١) وصححه الألباني (صحيح الجامع ٥/ ٤٠) ولقوله ﷺ: «من مات مرابطًا في سبيل الله أُجري عليه أجر عمله الصالح الذي كان يعمل، وأُجري عليه رزقه وأمن من الفتّان، وبعثه الله يوم القيامة آمنًا من الفزع الأكبر» رواه ابن ماجه (السنن ٢/ ٩٢٤) وصححه المنذري (الترغيب والترهيب ٣/ ٧٠) والألباني صحيح الجامع ٥/ ٣٥٧).

بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلشُّهَدَآءِ[(١)] وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [الزمر: ٦٨، ٦٩].

وقَالَ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ[(٢)] إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ[(٣)]﴾ [يس: ٥١]. وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ[(٤)]﴾ [النمل: ٨٧].

لا يعلم ما بين النفختين إلا الله عزّ وجلّ

٨ ـ عن أَبي هريرةَ رضي اللَّهُ عنه قالَ: قال رسولُ الله ﷺ: «ما بينَ النفختين أربعون» قالوا: يا أبا هريرةَ أربعونَ يومًا؟ قال: أبيتُ[(٥)] قالوا: أربعونَ شهرًا؟ قال: أبيتُ قالوا: أربعونَ سنةً؟ قال: أبيتُ، «ثم ينزلُ اللَّهُ من السماءِ ماءً فينبُتُون كما ينبُتُ البقلُ» قال: «وليس من الإنسان شيءٌ إلا يَبْلَى إلا عظمًا واحدًا وهو عَجْبُ الذَّنب[(٦)] ومنهُ يُرَكَّبُ الخلقُ يومَ القيامَة» متفق عليه[(٧)].

وقد تكلّم العلماء في عدد النفخات فقيل: اثنتان، وقيل ثلاث وقيل أربع. قلت: والأرجح أنهما نفختان فقط، نفخةُ الصعقِ وهي التي يموت بها من في السمٰوات ومن في الأرضِ إلا من شاءَ اللَّهُ، ونفخةُ القيامِ والفزعِ والخروج وهي التي يقومُ بها الناسُ لرب العالمين جل ثناؤه، والله أعلم.

---

(١) الشهداء: هم الملائكة الحفظة.
(٢) الأجداث: جمع جدث وهو القبر.
(٣) أي يخرجون مسرعين.
(٤) الداخر: الذليل المهان.
(٥) أبيت: أي أبيت أن أجزم بأن المراد أربعين يومًا أو شهرًا أو سنة. وقد جاء في غير مسلم أنها أربعين سنة ولكن إسنادها ضعيف.
(٦) عجب الذنب: هو العظم اللطيف الذي في أسفل الصلب وهو رأس العصعص.
(٧) الفتح ١٠/ ١٧٢ ومسلم ٢٢٧٠.

أهوَالُ القيَامَة

فإذا قامَ الناسُ من قبورهم لرب العالمين ونودوا: هلمَّ إلى ربِكم، وقفوهم إنهم مسؤولون. خشعت الخلائقُ وخضعت وذلَّت للواحدِ القهارِ فتراهم يستجيبون مسارعين إلى المنادي لا يعاندون ولا يميلون.

قالَ اللَّهُ تبارك وتعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ[1] وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [طه: ١٠٨].

وقالَ اللَّهُ جلَّ ثناؤهُ: ﴿وَعَنَتِ[2] ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا[3] ﴿١١٢﴾﴾ [طه: ١١١، ١١٢].

وقال اللَّهُ عزَّ وجلَّ: ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ﴾ [الزخرف: ٨٣] ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ[4] يُوفِضُونَ[5] ﴿٤٣﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المعارج: ٤٣، ٤٤] أي أنهم يسعَوْن إلى مَحْشَرِهِمْ في سُكونٍ وخُشوعٍ لا تسمع منهم إلا صوتَ الأقدامِ وإلا الهمسَ.

---

(١) أي لا يميلون عنه.
(٢) أي ذلت واستسلمت.
(٣) أي نقصًا.
(٤) أي كما يسعون في الدنيا إلى أصنامهم مسرعين.
(٥) أي يبتدرون.

ويل يومئذٍ للمكذبين

قالَ اللَّهُ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّا بَلْ رَانَ[(١)] عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾﴾ [المطففين: ١٠ - ١٧].

وقالَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [يس: ٥١ - ٥٤].

وقالَ اللَّهُ تعالَى: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزُّمر: ٦٠].

وقالَ اللَّهُ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿وَقَالُوٓا۟ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۚ[(٢)] قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا۟ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَلَلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الأنعام: ٢٩ - ٣٢].

وقالَ اللَّهُ تبارَكَ وتعالَى: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾ ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ[(٣)] ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ[(٤)] ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِى

(١) الرين هو ما يعتري قلوب الكافرين من كثرة الخطايا والتكذيب.
(٢) أي أليس ما وعدكم الرسل من أمر البعث بحق.
(٣) يعني لهب النار إذا ارتفع بدخانه فمن شدته أن له ثلاث شعب.
(٤) يعني ظل الدخان لا ظليل هو في نفسه ولا يقيهم حر اللهب.

بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ⁽١⁾ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ⁽٢⁾ ﴿٣٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [المرسلات: ٢٨ - ٣٧].

قبضُ السمٰواتِ والأَرضِين

ثم يقبض الجبار سمٰواته بيده اليمنى وأرضيه بيده الأُخرى ثم يقول: أنا المَلِكُ، أَين الجبارون؟ أين المتكبرون؟

قالَ اللَّهُ عَزَّ وَجلَّ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزُّمَر: ٦٧].

وقالَ تعالَى: ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤] أي كطي السجل لما هو مكتوب فيه.

٩ ـ وعن أَبي هُريرةَ رَضي اللَّهُ عنه عن النبيّ ﷺ قالَ: «يَقْبِضُ اللَّهُ الأَرضَ ويَطوِي السماءَ بيمينِهِ ثم يقولُ: أنا المَلِكُ أينَ ملوكُ الأَرضِ» متفق عليه⁽٣⁾.

١٠ ـ وعن عبد اللَّهِ بْنِ عمرَ رَضي اللَّهُ عنهما قالَ: قالَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ: «يطوِي اللَّهُ عَزَّ وجلَّ السمٰواتِ يومَ القيامةِ ثم يأُخذُهنَّ بيدِهِ اليمنى ثم يقولُ: أنا المَلِكَ، أيـن الجبارونَ؟ أين المتكبرونَ؟ ثم يَطْوِي الأَرضينَ بِشمالِهِ ثم يقولُ: أنا المَلِكُ، أينَ الجبارونَ؟ أينَ المتكبِّرونَ؟» رواه مسلم⁽٤⁾.

١١ ـ وعن عُبيد اللَّهِ بْنِ مِقْسَم أنه نَظَرَ إِلى عبدِ اللَّهِ بن عُمَر كيفَ يَحكي رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «يأْخُذُ اللَّهُ عَزَّ وجلَّ سمٰواتِهِ وأرضيهِ بيدَيْهِ فيقولُ: أنا اللَّهُ

---

(١) أي كالحصون.
(٢) قيل في معناه: أي كالإبل السود، وقيل: يعني حبال السفن، وقيل: قطع نحاس والله أعلم.
(٣) الفتح ١٤/ ١٦٠ ومسلم ٢١٤٨. (٤) مسلم ٢١٤٨.

ـ ويقبض أصابعَهُ ويبسُطُها ـ أنا المَلِكُ» حتى نظرت إلى المِنْبَرِ يتحرّكُ مِنْ أسفلِ شيءٍ منهُ حتى إني لأقولُ: أساقطٌ هُو بِرسولِ اللّهِ ﷺ؟ رواه مسلم(١).

صفة أرض الحشر

١٢ ـ عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «يُحْشَرُ الناسُ يومَ القيامةِ على أرضٍ بيضاءَ عفراءَ(٢) كَقُرصَةِ النَّقِيِّ(٣) ليسَ فيها عَلَمٌ لأحد» رواه مسلم(٤).

يُحشر الناس يومئذ مشاة حفاة عراة غُرْلًا

١٣ ـ عن عائشةَ رَضي اللّهُ عنها قالت: سمعتُ رسولَ اللّهِ ﷺ يقولُ: «يُحْشَرُ الناسُ يومَ القيامَةِ حُفَاةً عُراةً غُرْلًا(٥)» قلتُ: يا رسولَ اللّهِ، النساءُ والرجالُ جميعًا يَنظُر بعضُهم إلى بعضٍ؟ قال ﷺ: «يا عائشةُ الأمرُ أَشَدُّ من أن ينظُرَ بعضُهُمْ إلى بعضٍ» متفق عليه(٦).

يُحشر الكفار على وجوههم

قالَ اللّهُ عزَّ وَجلَّ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا(٧) وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾ [طه: ١٢٤ - ١٢٦].

وقالَ اللّهُ تعالَى: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَـٰهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء: ٩٧].

---

(١) مسلم ٢١٤٩.
(٢) عفراء: أي بيضاء إلى حمرة ليست ناصعة البياض.
(٣) قرصة النقي: أي قرص الدقيق النقي من الغش والنخالة.
(٤) مسلم ٢١٥٠.
(٥) غرلاً: أي غير مختونين.
(٦) الفتح ١٤/١٧٦ ومسلم ٢١٩٤.
(٧) أي لا طمأنينة فيها ولا انشراح بل صدره ضيق وإن أوتي من كل شيء لما يشعر به من الخوف من البعث والحساب، هذا وهو به مرتاب شاك متردد بين التصديق والتكذيب وهذا حق العذاب.

١٤ ـ وعن أنسِ بْنِ مالكٍ رَضِيَ اللَّهُ عنهُ أَنَّ رَجُلًا قالَ: يا رسولَ اللَّهِ كَيْفَ يُحْشَرُ الكافِرُ على وجهِهِ يومَ القيامَةِ؟ قالَ: «أليسَ الذي أمشاهُ على رِجليهِ في الدُّنيا قادِرًا على أن يُمْشِيَهُ على وجهِهِ يومَ القيامَةِ؟» قال قَتادةُ: بَلى وَعزَّةِ ربِّنا. متفق عليه[1].

دُنُوُّ الشمسِ من الخلائقِ وما يكونُ من العَرَقِ

١٥ ـ عن أَبي هريرةَ رضي الله عنه أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «يَعْرَقُ الناسُ يومَ القيامةِ حتى يَذْهَبَ عَرقهُم في الأَرضِ سبعينَ ذِراعًا ويُلْجِمُهُم حتى يَبْلُغَ آذانَهُمْ» متفق عليه[2].

١٦ ـ وعن المقدادِ بنِ الأسودِ رضي اللَّهُ عنه قال: سمعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقول: «تُدْنَى الشَّمسُ يومَ القيامةِ من الخلقِ حتى تكونَ منهم كمقدارِ مِيل» قال سُلَيْمُ بنُ عامرٍ: فواللَّهِ ما أدرِي ما يَعْنِي بالميلِ، أمسافَةَ الأرضِ أم المِيلَ الذي تُكْتَحَلُ به العينُ؟ قال: «فيكونُ الناسُ على قَدْرِ أعمالِهم في العَرقِ، فمنهم مَن يكونُ إلى كَعْبَيْهِ ومنهُم مَن يكونُ إلى رُكْبَتَيْهِ ومنهُم مَن يكونُ إلى حَقْوَيْهِ[3] ومنهُم مَن يُلْجِمُهُ العَرَقُ إلجامًا[4]» رواه مسلم[5].

فَتَفَكَّرْ يا عبدَ الله في الخلائقِ وذُلِّهم وانكسارِهم في ذلك اليومِ الطويل خوفًا وانتظارًا لِمَا يُقْضَى عليهم من سعادة أو شقاوة، فكيف بك يا عبدَ الله في ذلك اليوم وقد لَفَظَكَ القبرُ بعد طولِ بلاءٍ فنظرت في عملك الذي قدَّمْتَ فلم تجد إلا ريبة في البعثِ وشربًا للخمر ولهوًا وزِنًا كثيرًا ولعبًا للقمار ووقوعًا في أعراضِ الناس وغيبة ونميمة وأكلَ أموالِ بالباطلِ وموالاةً للملحدين الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر واستهزاء ومحاربة للمؤمنين المتمسكين بالكتاب والسنة، ألا فاتق الله ربك وارفق بنفسك.

(١) الفتح ١٤/ ١٧٠ ومسلم ٢١٦١.
(٢) الفتح ١٤/ ١٨٥ ومسلم ٢١٩٦.
(٣) الحقو: أي الخصر ومعقد الإزار من الجنب.
(٤) أي يصل إلى أفواههم.
(٥) مسلم ٢١٩٦.

الإتيان يومئذ بجهنم

قالَ اللَّهُ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾﴾ [الفجر: ٢١ - ٢٤].

١٧ - وعن عبد الله بْنِ مسعودٍ رضيَ اللَّهُ عنه قالَ: قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «يُؤْتَى بجهنَّمَ يومَئِذٍ لها سبعونَ ألفَ زمامٍ[١]، مَعَ كُلِّ زِمامٍ سبعونَ ألفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَها» رواه مسلم[٢].

الذين يُظِلُّهم الله تعالى في ظله يوم لا ظل إلا ظله

١٨ - عن أبي هريرةَ رضي اللَّهُ عنه قالَ: قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «إن اللَّهَ يقولُ يومَ القيامَةِ: أين المُتحابُّونَ بجلالي[٣] اليومَ أُظِلُّهُم في ظِلِّي[٤] يومَ لا ظِلَّ إلا ظِلِّي» رواه مسلم[٥].

١٩ - وعن أبي هُريرةَ رَضيَ اللَّهُ عنه عن النبيِّ ﷺ قالَ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ تعالى في ظِلِّهِ يومَ لا ظِلَّ إلا ظِلُّهُ: إمامٌ عَدْلٌ[٦]، وشابٌّ نَشأ في عبادةِ اللَّهِ، ورجلٌ قلبُهُ معلَّقٌ في المساجِدِ، ورجلانِ تحابَّا في اللَّهِ، اجتمعا عليهِ وتفرَّقا عليهِ، ورجلٌ دَعَتهُ امرأَةٌ ذاتُ منصِبٍ وجَمالٍ فقالَ: إني أخافُ اللَّهَ، ورجلٌ تصدَّقَ بصدقةٍ فأخفاها حتى لا تعلم شِمالُهُ ما تنفِقُ يمينُهُ ورجلٌ ذكرَ اللَّهَ خاليًا ففاضت عيناهُ» متفق عليه[٧].

٢٠ - وعن أبي اليَسَرِ كعب بن عمرو رضي الله عنه قالَ: قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «من أَنْظَرَ مُعْسِرًا أو وَضَعَ عنهُ أَظَلَّهُ اللَّهُ في ظِلِّه» رواه مسلم[٨].

---

(١) الزمام: ما زم به والجمع أزمة وهي الحبال.
(٢) مسلم ٢١٨٤.
(٣) أي بعظمتي وطاعتي لا للدنيا.
(٤) أي في ظل العرش يوم القيامة.
(٥) مسلم ١٩٨٨.
(٦) أي إمام عادل.
(٧) الفتح ٤/ ٣٥ ومسلم ٧١٥.
(٨) مسلم ٢٣٠٢.

٢١ ـ وعن يزيد بن أبي حبيب أن أبا الخير حدّثه أنه سَمِعَ عقبةَ بن عامر يقول: سمعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ: «كُلُّ امرِىءٍ في ظِلِّ صدقتِهِ حتى يُفصلَ بينَ الناس» أو قال: «يُحكَمَ بين الناس» قال يزيد وكان أبو الخير لا يُخطِئُهُ يومٌ إلا تصدَّقَ فيه بشيءٍ ولو كعكة أو بصلة أو كذا. رواه أحمد[١] وصححه الألباني[٢].

أول من يُدعى يوم القيامة آدم وإخراج بعث النار

٢٢ ـ عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه أن النبي ﷺ قال: «أَوَّلُ من يُدْعَى يومَ القيامةِ آدمُ فتراءى ذُرِّيَتُهُ[٣] فيقالُ: هذا أبوكُمْ آدَمُ فيقولُ: لَبَّيْكَ وسَعْدَيْكَ فيقولُ: أخرِجْ بَعْثَ[٤] جهنَّمَ من ذُرِّيَتِكَ فيقولُ: يا رَبِّ كم أُخْرِجُ؟ فيقولُ: أَخْرِجْ من كُلِّ مائةٍ تِسعَةً وتِسْعينَ» فقالوا: يا رسولَ اللَّهِ إذا أُخِذَ مِنَّا كل مِائَةٍ تسعةٌ وتِسعونَ فماذا يبقى مِنَّا؟ قال: «إنَّ أُمَّتي في الأُمَمِ كالشَّعرةِ البيضاءِ في الثورِ الأَسودِ» رواه البخاري[٥].

٢٣ ـ وعن أبي سعيد الخُدري رَضِيَ اللَّهُ عنهُ قال: قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «يقولُ اللَّهُ عزَّ وجلَّ: يا آدَمُ، فيقولَ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ والخيرُ في يَدَيْكَ، قالَ يقولُ: أخرِجْ بَعْثَ النارِ، قال: وما بعثُ النَّارِ؟ قال: من كلِّ ألفٍ تِسعمِائَةٍ وتِسْعَة وتِسعينَ، قالَ: فذاكَ حينَ يَشِيْبُ الصغيرُ وتضَعُ كُلُّ ذاتِ حَمْلٍ حَمْلَها وترى النّاسَ سُكارى وما هم بِسُكارى ولكنَّ عذابَ اللَّهِ شديدٌ» قال: فاشتدَّ ذلكَ عليهِم قالوا: يا رسولَ اللَّهِ أيُّنا ذلكَ الرجلُ؟ فقالَ: «والذي نَفْسي بيدِهِ إني لأطمعُ أن تكونوا رُبع أهلِ الجنَّةِ» فحَمَدْنا اللَّهَ وكَبَّرْنا ثمَّ قال: «والذي نَفْسي

(١) المسند ٤/ ١٤٧.
(٢) صحيح الجامع ٤/ ١٧٠.
(٣) أي تنظر إليه وتتمكن من رؤيته.
(٤) البعث: بمعنى المبعوث وأصلها من السرايا التي يبعثها الأمير إلى جهة من الجهات للحرب وغيرها.
(٥) الفتح ١٤/ ١٧٨.

بيدِهِ إنِّي لأطمعُ أن تكونوا ثُلُثَ أَهلِ الجنَّةِ» فحَمَدْنا اللَّهَ وكبَّرنا ثمَّ قال: «والذي نَفْسي بيدهِ إنِّي لأطمَعُ أن تكونوا شَطْرَ[1] أهْلِ الجنَّةِ، إنَّ مَثَلَكُمْ في الأُمَم كَمَثَلِ الشَّعْرَةِ البيضاءِ في جِلْدِ الثَّورِ الأسودِ أو كالرَّقْمَةِ[2] في ذِراعِ الحمارِ» متفقٌ عليه[3].

فائدة: تقدَّمَ في الحديثِ الذي قبله «أخرج من كلِّ مائة تسعة وتسعين» وفي هذا الحديث «من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين» وقد أُجيبَ عن هذا الإشكالِ بأجوبةٍ منها حملُ حديث أبي سعيد على جميعِ ذريةِ آدمَ فيكونُ من كلِّ ألفٍ واحدٌ وحمل حديث أبي هريرة على من عدا يأجوج ومأجوج فيكون من كل ألف عشرةٌ، ومنها أن حديث أبي سعيد يتعلق بالخلق أجمعين وأن حديثَ أبي هريرة يتعلقُ بهذه الأُمةِ خاصةً. أما بعثُ النارِ فالله أعلم بهم: هل هم كفارٌ أجمعون أم يختلط بهم من عصاةِ الأُمةِ أحدٌ؟ العلم عند الله تعالى.

عذاب مانع الزكاة يومئذ

قال اللَّهُ تَعالَى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُمۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمۡۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [آل عِمرَان: ١٨٠].

وقال اللَّهُ جَلَّ ذِكرُهُ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْۖ هَـٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [التوبة: ٣٤، ٣٥].

---

(١) أي نصف.

(٢) الرقمة: قطعة بيضاء تكون في باطن الذراع. (٣) الفتح ١٤/١٧٩ ومسلم ٢٠١.

٢٤ ـ وعن أبي هُريرةَ رَضيَ اللَّهُ عنهُ قالَ: قالَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ: «من آتاهُ الله مالًا فلم يؤدِّ زكاتهُ مُثِّلَ له مالهُ شجاعًا أَقْرَعَ[١] له زَبِيبَتانِ[٢] يُطَوَّقُه[٣] يَوْمَ القيامة يَأْخُذُ بِلِهْزِمَتَيْهِ ـ يعني بِشِدْقَيْهِ[٤] ـ يقولُ: أَنا مالُكَ أَنا كَنْزُكَ» ثم تلا هذه الآيـة: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [آل عِـمـرَان: ١٨٠] إلى آخرِ الآيةِ. رواه البخاري.

٢٥ ـ عن أبي هريرةَ رضيَ اللَّهُ عنهُ قال: قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «ما مِنْ صاحبِ ذهبٍ ولا فِضَّةٍ لا يؤدِّي منها حَقَّها إلا إذا كان يومُ القِيامَةِ صُفِّحَتْ لهُ صفائحُ من نارٍ فأُحمِيَ عليها في نارِ جهنَّمَ فيُكوى بها جَنْبُهُ وجبينُهُ وظهرُهُ كلمَا بَرَدَتْ أُعيدَتْ لهُ في يومٍ كان مقدارُهُ خمسينَ ألفَ سنةٍ حتى يُقضَى بينَ العبادِ فيُرَى سبيلُهُ إمَّا إلى الجنةِ وإما إلى النارِ» قيل: يا رسول الله، فالإبلُ؟ قال: «ولا صاحِبُ إبلٍ لا يُؤَدِّي منها حَقَّها ومن حَقِّها حَلْبُهَا يومَ وِردِهَا[٥] إلا إذا كانَ يَومُ القيامَةِ بُطِحَ لهَا بِقَاعٍ قَرْقَرٍ[٦] أَوْفَرَ مَا كانت لا يفقِدُ منها فصيلًا[٧] واحدًا، تطؤهُ بأخفافِها وتَعَضُّهُ بأفواهِها كلما مَرَّ عليه أُولاها رُدَّ عليه أُخْراها[٨] في يومٍ كان مقدارُهُ خمسينَ ألفَ سنةٍ حتى يُقْضى بين العبادِ فيُرى سبيلُهُ إمَّا إلى الجنةِ وإما إلى النَّارِ» قيل: يا رسولَ اللَّهِ، فالبقرُ والغنمُ؟ قال: «ولا صاحِبُ بقرٍ ولا غنمٍ لا يؤدِّي منها حَقَّها إلا إذا كان يومُ القيامَةِ بُطِحَ لها بقاعٍ قَرْقَرٍ لا يَفقِدُ منها شيئًا، ليس فيها عقصاءُ ولا جلحاءُ ولا

---

(١) الشجاع: الحية الذكر، والأقرع: الذي تمعّطَ شعرُهُ لكثرة سمهِ.

(٢) هما الزبدتان اللتان في الشدقين، وقيل: لحمتان على رأسه مثل القرنين.

(٣) أي يصير له ذلك الثعبان طوقًا.

(٤) الشدقان: هما العظمان الناتئان في اللَّحيين تحت الأذنين، وفي الجامع هما لحم الخدين الذي يتحرك إذا أكل الإنسان.

(٥) أي يوم أوردها الماء.

(٦) قاع قرقر: أي أرض مستوية واسعة.

(٧) الفصيل: ولد الناقة إذا فصل عن أمه.

(٨) قال القاضي عياض: قالوا هو تغيير وتصحيف وصوابه ما جاء في الحديث الآخر «كلما مرّ عليه أُخراها رد عليه أولاها».

عضباءُ[١] تَنْطَحُهُ بقُرونِها وتَطؤُهُ بأظْلافِها كلما مَرَّ عليهِ أُولاها رُدَّ عليه أُخراها في يومٍ كانَ مقدارُهُ خمسينَ ألفَ سنةٍ حَتى يُقضى بين العبادِ فيُرَى سبيلُهُ إمَّا إلى الجنةِ وإما إلى النَّارِ» رواه مسلم[٢].

٢٦ ـ ورواه البخاري ومسلم أيضًا عن جابر بن عبد اللَّهِ رضي اللَّهُ عنهما وفيه «ولا صاحبِ كنزٍ لا يفعلُ فيه حقَّهُ إلا جاءَ كنزُهُ يومَ القيامَةِ شُجَاعًا أقرعَ[٣] يتبَعُهُ فاتحًا فاهُ فإذا أتَاهُ فَرَّ مِنْهُ فيُنادِيهِ: خُذ كَنْزَكَ الذِي خَبأْتَهُ فأنا عنهُ غَنِيٌّ، فإذا رأى أن لا بُدَّ منهُ سَلَكَ يَدَهُ في فيهِ فَيَقْضَمُهَا قَضْمَ الفَحْلِ[٤]»[٥].

حوضُ النبيِّ ﷺ يومَ القيامةِ

ويَرِدُ المسلمونَ حوضَ النبيِّ ﷺ؛ ماؤه أبيضُ من اللبن وريحُه أطيبُ من المسك وآنيتُه كنجومِ السماء، من شَرِبَ منه فلا يظمأ أبدًا، وليردَنَّ على رسول اللَّهِ ﷺ الحوضَ رجالٌ من أُمته يعرفهم بعلامةِ الوضوء غُرًّا محجَّلين ثم يطردون عن الحوض لأنهم نكصوا على أعقابهم وغيروا بعده ﷺ وما أكثرهم في هذا الزمان، اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك.

٢٧ ـ عن أبي هريرةَ رضي اللَّهُ عنه قالَ: قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «تَرِدُ عَلَيَّ أُمَّتِي الحوضَ وأنا أذودُ[٦] الناسَ عنهُ كما يذودُ الرجلُ إِبِلَ الرجلِ عن إِبِلِهِ» قالوا: يا نبيَّ اللَّهِ أتعرِفُنا؟ قال: «نعم، لَكُم سِيْمَا[٧] ليست لأَحدٍ غيرِكُمْ. تَرِدُونَ عَلَيَّ غُرًّا مُحَجَّلِينَ[٨] من آثارِ الوُضُوءِ ولَيُصَدَّنَّ عَنِّي طائفةٌ مِنكُم فلا يَصِلُونَ

(١) العقصاء: الملتوية القرنين، والجلحاء: التي لا قرن لها، والعضباء: التي انكسر قرنها الداخلي.
(٢) مسلم ٦٨٠.
(٣) الشجاع: الحية الذكر والأقرع: الذي تَمَعَّطَ شعره لكثرة سمه.
(٤) أي يأكلها كما يأكل البعير أكلته.
(٥) الفتح ٤/ ١٢ ومسلم ٦٨٤.
(٦) أي أطرد وأدفع.
(٧) أي علامة.
(٨) الغرة: بياض في جبهة الفرس والتحجيل بياض في يديها ورجليها. أي أنهم يأتون يوم القيامة وعلى هذه المواضع نور يعرفون به.

فَأَقولُ: يا رَبِّ هؤلاءِ من أَصحابي فيجيبُني مَلَكٌ فيقولُ: وهل تدري ما أحدثوا بعدَكَ» رواه مسلم[١].

٢٨ ـ وعن أسماءَ بنت أبي بكرٍ رَضي اللَّهُ عنهما قالَت: قالَ النبيُّ ﷺ: «إِنّي على الحوضِ حتى أنظُرَ من يَرِدُ عليَّ منكم، وسيُؤخَذُ ناسٌ من دوني فأَقول: يا ربِّ مِنِّي ومِن أُمَّتي؟ فيقال: هل شَعَرْتَ ما عَمِلُوا بعدَك؟ واللَّهِ ما بَرِحُوا يرجِعُونَ على أعقابِهِم» متفق عليه[٢].

وقد اختلفَ العلماءُ في الحوضِ والورودِ عليه أين يكونُ ومتى الورودُ؟ فقيل يكون قبل الصراط إذ يُحشر الناس عطاشى فيرد المؤمنون الحوضَ ويتساقط الكفارُ في النارِ بعد أن يَسْأَلوا السُّقيا كما سيأتي، وقيل إنه يكون بعد الحساب والميزان والصراط. قلت: والأول أقرب فإن النبيّ ﷺ قد ضَرَبَ موعدًا لأصحابه رضي الله عنهم على الحوض فعن عبد الله بن زيد بن عاصم رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال للأنصار: «إنكم ستلقون بعدي أَثَرَةً[٣] فاصبروا حتى تلقوني على الحوض» متفق عليه[٤].

٢٩ ـ وعن عبد اللَّهِ بْنِ عَمرو بنِ العاصِ رَضي اللَّهُ عنهما قالَ: قالَ النبيُّ ﷺ: «حَوْضِي مسيرةُ شَهرٍ، ماؤُهُ أَبيضُ من اللَّبَنِ وريحُهُ أطيَبُ من المِسْكِ وكِيْزَانُهُ[٥] كنُجُومِ السماءِ، من شَرِبَ منه فلا يَظْمأُ أَبَدًا» متفق عليه[٦].

٣٠ ـ وعن ثوبانَ رضِي اللَّهُ عنه أن نبيَّ اللَّهِ ﷺ قال: «إني لَبِعُقْرِ حوضي[٧] أذودُ الناسَ لأَهْلِ اليَمَنِ، أَضْرِبُ بعصايَ حتى يَرْفَضَّ[٨] عليهم»

(١) مسلم ٢١٧.
(٢) الفتح ١٤/٢٧٥ ومسلم ١٧٩٤.
(٣) الأثرة: استئثار الأمراء بأموال بيت المال.
(٤) الفتح ٩/١١٣ ومسلم ١٤٧٤.
(٥) كيزانه: أي آنيته.
(٦) الفتح ١٤/٢٦٧ ومسلم ١٧٩٣.
(٧) عقر الحوض: قيل هو موقف الإبل منه عند الورود وقيل مؤخره.
(٨) يرفض: أي يسيل.

فسُئلَ عن عَرْضِهِ فقال: «من مَقامِي إِلَى عَمَّانَ» وسُئِلَ عن شَرابِهِ فقالَ: «أَشَدُّ بياضًا مِنَ اللَّبَنِ وأحلى من العسلِ يَغُتُّ فيه ميزابانِ[١] يُمِدَّانِهِ من الجنةِ أحدُهُما من ذَهَبٍ والآخَرُ من وَرِقٍ[٢]» رواه مسلم[٣].

طعامُ أهلِ الجنةِ يومَ القيامةِ

وفي هذا اليوم الطويل يكرمُ اللَّهُ جَلَّ ثناؤه من عباده الذين ارتضى لهم الجنة دارًا ومسكنًا ويقلبُ لهم الأرض خبزةً واحدةً فيأكلوا منها حتى يدخلوا الجنة.

٣١ ـ عن أبي سعيدِ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه عن رسولِ اللَّهِ ﷺ قال: «تَكُونُ الأرضُ يومَ القيامةِ خُبزةً واحدةً يَكْفَؤُهَا[٤] الجَبَّارُ بِيَدِهِ كما يَكْفَأُ أَحَدُكُمْ خُبْزَتَهُ في السَّفَرِ نُزُلًا[٥] لأهلِ الجنَّةِ» قال: فأَتى رجلٌ من اليهودِ فقال: باركَ الرحمـٰنُ عليكَ أبا القاسم ألا أُخبِرُكَ بِنُزُلِ أَهل الجنةِ يومَ القيامةِ؟ قال: «بلى» قال: تكونُ الأرضُ خُبزةً واحدةً ـ كما قالَ رسولُ اللَّهِ ـ قال: فنظرَ إلينا رسولُ اللَّهِ ﷺ ثم ضَحِكَ حتى بَدَتْ نواجِذُهُ[٦] قال: ألا أُخبرك بإِدَامِهِمْ[٧]؟ قال: «بلى» قال: إِدامُهُمْ بَالامٌ[٨] ونُونٌ[٩] قالوا: وما هذا؟ قال: ثَوْرٌ ونُونٌ يأْكُلُ من زائِدَةِ كبدِهِمَا[١٠] سبعونَ ألفًا. متفق عليه[١١].

---

(١) أي يدفقان فيه الماء دفقًا شديدًا. (٢) الورق: أي الفضة.
(٣) مسلم ١٧٩٩.
(٤) يكفؤها: أي يميلها من يد إلى يد حتى تجتمع وتستوي.
(٥) النُّزل: هو ما يعد للضيف عند نزوله.
(٦) النواجذ: جمع ناجذ وهو آخر الأضراس وتطلق أيضًا على الأنياب.
(٧) الإدام: أي ما يؤكل مع الخبز. (٨) بالام: لفظة عبرانية معناها ثور.
(٩) النون: أي الحوت.
(١٠) زائدة الكبد: هي القطعة المنفردة المعلقة في الكبد وهي غاية في اللذة.
(١١) الفتح ١٤/١٦٢ ومسلم ٢١٥١.

شفاعة النبيّ ﷺ
في إدخال من لا حساب عليه من أُمته الجنة

ثم تُقَرَّبُ الجنةُ للمؤمنين فلا يستطيعون عنها صبرًا، ويبطىء الرحمٰن عليهم في الحساب فينطلقون يلتمسون الأنبياءَ والمرسلين لعلهم يشفعون، فإذا بكل رسول منهم يقول: نفسي نفسي اذهبوا إلى فلان حتى يأتـوا محمدًا ﷺ فيقول: «أنا لها» فيدخل الله جلَّ ذكرُهُ بشفاعته من أُمته من لا حساب عليه الجنة من أيمن أبوابها.

قالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَأُزْلِفَتِ[1] ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ [قٓ: ٣١].

وقالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾ [التكوير: ١٣].

٣٢ ـ وعن أبي هريرةَ وحذيفةَ رضي الله عنهما قالا: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «يَجْمَعُ اللَّهُ تباركَ وَتعالَى الناسَ فيقومُ المؤمنونَ حتى تُزْلَفَ لهمُ الجنَّةُ، فيأْتونَ آدمَ فيقولون: يا أبانا اسْتَفْتِحْ لنا الجنَّةَ فيقولُ: وهل أَخْرَجَكُمْ من الجنَّةِ إلا خطيئَةُ أبيكُم آدمَ؟ لستُ بصاحِبِ ذلِكَ، اذهَبُوا إلى ابني إبراهيمَ خليلِ اللَّهِ»... الحديث رواه مسلم[2].

٣٣ ـ وقد رواه البخاري ومسلم عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رضيَ الله عنهُ، قَالَ: أُتِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا بِلَحْمٍ. فَرُفِعَ إِلَيْهِ الذِّرَاعُ وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ. فَنَهَسَ[3] مِنْهَا نَهْسَةً فَقَالَ: «أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. وَهَلْ تَدْرُونَ بِمَ ذَاكَ؟ يَجْمَعُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ في صَعِيدٍ وَاحِدٍ[4]، فَيُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي وَيَنْفُذُهُمُ الْبَصَرُ[5].

---

(١) أزلفت: أي قربت. (٢) مسلم ١٨٧.

(٣) فنهس: بمعنى أخذ بأطراف أسنانه.

(٤) في صعيد واحد: الصعيد هو الأرض الواسعة المستوية.

(٥) وينفذهم البصر: قال الكسائيّ: يقال نفذني بصره إذا بلغني وجاوزني. قال ويقال: أنفذت القوم إذا خرقتهم ومشيت في وسطهم. فإن جزتهم حتى تخلفتهم قلت نفذتهم بغير ألف. ومعناه: ينفذهم بصر الرحمٰن تبارك وتعالى حتى يأتي عليهم كلهم. وقال صاحب المطالع: معناه أنه=

وَتَدْنُو الشَّمْسُ فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الْغَمِّ وَالْكَرْبِ مَا لَا يُطِيقُونَ وَمَا لَا يَحْتَمِلُونَ. فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: أَلَا تَرَوْنَ مَا أَنْتُمْ فِيهِ؟ أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ؟ أَلَا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ؟ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: ائْتُوا آدَمَ. فَيَأْتُونَ آدَمَ. فَيَقُولُونَ: يَا آدَمُ! أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ، خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ. اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ. أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ آدَمُ: إِنَّ رَبِّي غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ. نَفْسِي نَفْسِي. اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي. اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ. فَيَأْتُونَ نُوحًا فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ! أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى الْأَرْضِ. وَسَمَّاكَ اللَّهُ عَبْدًا شَكُورًا. اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ. أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ. وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوتُ بِهَا عَلَى قَوْمِي(١). نَفْسِي نَفْسِي. اذْهَبُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ ﷺ. فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُونَ: أَنْتَ نَبِيُّ اللَّهِ وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ. اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ. أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ إِبْرَاهِيمُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلا يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ. وَذكرَ كَذَبَاتِهِ(٢). نَفْسِي

= يحيط بهم الناظر، لا يخفى عليه منهم شيء لاستواء الأرض. أي ليس فيها ما يستتر به أحد عن الناظرين.

(١) وهي قوله عليه السلام: (رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديّارًا).

(٢) عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لم يَكْذِبْ إبراهيم إلا ثلاثًا» رواه البخاري (٧/ ٢٠٠) وفي رواية أخرى للشيخين «لم يكذب إبراهيم عليه الصلاة والسلام إلاّ ثلاث كذبات: ثنتين منهن في ذات الله عزّ وجلّ، قوله: (إني سقيم) وقوله: (بل فعله كبيرهم هذا) وقال: «بينما هو ذات يوم وسارة إذ أتى على جبّار من الجبابرة فقيل له: إن هذا رجل معه امرأة من أحسن الناس فأَرسِلْ إليه فسألهُ عنها فقال: من هذِهِ؟ قال: أختي فأتى سارة قال: يا سارة ليس على وجه الأرض مؤمن غيري وغيرك وإن هذا سألني فأخبرته أنك أختي فلا تكذبيني فأرسل إليها فلما دخلت عليه ذهب يتناولها بيده فَأُخِذَ فقال: ادعي الله لي ولا أضركِ فدعت الله فأطلق، ثم تناولها الثانية فأُخِذ مثلها أو أشد فقال: ادعي الله ولا أضرك فدعت فأُطلق فدعا بعض حجبته فقال: إنك لم تأتني بإنسان إنما أتيتني بشيطان فأخدمها هاجر فأتته وهو قائم=

نَفْسِي. اذْهَبُوا إِلى غَيْرِي. اذْهَبُوا إِلى مُوسَى. فَيَأْتُونَ مُوسَى ﷺ فيقولون: يَا مُوسَى! أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ. فَضَّلَكَ اللَّهُ، بِرِسَالاَتِهِ وَبِتَكْلِيمِهِ، عَلَى النَّاسِ. اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ. أَلاَ تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ مُوسَى ﷺ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ. وَإِنِّي قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أومَرْ بِقَتْلِهَا. نَفْسِي نَفْسِي. اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى ﷺ. فَيَأْتُونَ عِيسَى فَيَقُولُونَ: يَا عِيسَى! أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، وَكَلَّمْتَ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ، وَكَلِمَةٌ مِنْهُ(١) أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ، وَرُوحٌ مِنْهُ(٢). فَاشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ. أَلاَ تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلاَ تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ عِيسَى ﷺ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ. وَلَمْ يَذْكُرْ لَهُ ذَنْبًا. نَفْسِي نَفْسِي. اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي. اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ. فَيَأْتُونِّي فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ! أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتَمُ الأَنْبِيَاءِ. وَغَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ. اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ. أَلاَ تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلاَ تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي. ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ وَيُلْهِمُنِي مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ لأَحَدٍ قَبْلِي. ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ! ارْفَعْ رَأْسَكَ. سَلْ تُعْطَهْ. اشْفَعْ تُشَفَّعْ. فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَقُولُ: يَا رَبِّ! أُمَّتِي. أُمَّتِي. فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ! أَدْخِلِ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِكَ، مَنْ لاَ حِسَابَ عَلَيْهِ، مِنَ الْبَابِ الأَيْمَنِ

= يصلي فأومأ بيده مهيم ـ أي ما الخبر ـ قالت: رد الله كيد الكافر أو الفاجر في نحره وأخدم هاجر» (الفتح ٧/ ٢٠١ ومسلم ١٨٤٠) وقال العلماء: إطلاقه الكذب على الأمور الثلاثة لكونه قال قولاً يعتقده السامع كذبًا لكنه إذا حقق لم يكن كذبًا لأنه من باب المعاريض المحتملة للأمرين وقوله في سارة أختي؛ أي أختي في الإسلام ولذلك نبه النبيّ ﷺ على أن هذه الكذبات ليست داخلة في الكذب المذموم.

(١) أي لأنه كان بكلمة كن فحسب من غير أب بخلاف غيره من بني آدم عليه وعلى أمه السلام.

(٢) روحٌ منه: أي مخلوقةٌ من عنده سبحانه وقيل: أي ليس من أب إنما نفخ في أمه الروح وأن إضافتها إليه تعالى إضافة تشريف كناقة الله وبيت الله ومثله قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية: الآية ١٣] أي أنه سبحانه مكون كل ذلك وموجده وخالقه فتبارك الله رب العالمين.

من أبوابِ الجنَّةِ وهُم شُرَكَاءُ الناسِ[(١)] فِيمَا سِوَى ذلِكَ مِنَ الأَبْوابِ، والذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بيدِهِ إنَّ ما بين المِصْراعَينِ[(٢)] من مَصاريعِ الجنَّةِ لكما بين مَكَّةَ وَهَجَرٍ[(٣)] أوْ كما بين مَكَّةَ وبُصرَى[(٤)]» متفق عليه[(٥)].

سؤالُ النبيّ ﷺ رَبَّهُ عزَّ وَجَل زيادةَ عددِ الذين يدخلون الجنة من أُمته بغير حساب وإجابة الكريم الوهاب

٣٤ ـ عن أبي أمَامَةَ رَضي اللَّهُ عنه عن النبيِّ ﷺ قالَ: «وَعَدَني ربِّي عزَّ وجَلَّ أَنْ يُدْخِلَ الجنَّةَ مِن أُمتي سبعينَ ألفًا بغيرِ حِسابٍ ولا عذابٍ مع كلِّ ألفٍ سبعونَ أَلفًا وثلاثَ حثياتٍ[(٦)] من حثياتِ ربِّي عزَّ وجَلَّ» رواه أحمد[(٧)] وصححه الألباني[(٨)].

أُمةُ محمدٍ ﷺ أول من يُحاسَبُ من بين الأُمم

وفي هذا اليوم يُكرِمُ الله جلَّ ثناؤه النبيّ ﷺ ومن اتبعه من المسلمين فهم وإن كانوا آخر الأُمم إلا أنّ اللّهَ سبحانَهُ يجعلهم أوَّل مَن يُحشرُ وأوَّل مَن يُحاسبُ وأوَّل مَن يدخل الجنة.

٣٥ ـ عن أبي هريرةَ رضي اللَّهُ عنه قالَ: قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «نحن الآخِرُونَ ونحنُ السابقونَ يومَ القيامَةِ، بَيْدَ[(٩)] أنَّ كُلَّ أمَّةٍ أُوتِيَتِ الكِتَابَ من قَبْلِنَا وأُوتِيْناهُ من بَعْدِهِمْ، ثُمَّ هذا اليومُ[(١٠)] الذي كَتَبَهُ اللَّهُ علينا هدانا اللَّهُ لهُ، والناسُ لنا فيه تَبَعٌ، اليهودُ غدًا والنصارى بعدَ غَدٍ» متفق عليه[(١١)].

---

(١) أي أنهم لا يمنعون من سائر الأبواب.
(٢) المصراعان: جانبا الباب.
(٣) هَجَر: من كبريات مدن البحرين.
(٤) بصرى: مدينة معروفة بينها وبين دمشق نحو ثلاث مراحل.
(٥) الفتح ١٠/ ١٠ ومسلم ١٨٤.
(٦) أي ثلاث غَرفاتٍ، مبالغة في الكثرة.
(٧) المسند ٥/ ٢٦٨.
(٨) صحيح الجامع ٦/ ١٠٨.
(٩) بيد: أي غير.
(١٠) أي الجمعة.
(١١) الفتح ٣/ ٤ ومسلم ٥٨٥.

٣٦ ـ وفي رواية عن أَبي هريرة وحذيفة رضي الله عنهما: «... نحن الآخِرون من أَهْلِ الدنيا والأولونَ يومَ القيامةِ المَقْضِيُّ لهُم قَبْلَ الخلائِق» رواه مسلم(١).

٣٧ ـ وعن ابْنِ عباس رَضي الله عنهما أَنَّ النبيّ ﷺ قالَ: «نَحْنُ آخِرُ الأُمَمِ وأَوَّلُ من يُحاسَبُ، يقال: أَيْنَ الأُمَّةُ الأُميَّةُ ونبيُّها؟ فنحن الآخِرون الأَوَّلون» رواه ابن ماجه(٢) وصححه الهيثمي والألباني(٣).

من صُوَرِ الحساب

ثم تَفَكَّرْ يا عبدَ اللَّهِ كيف سيكلمُكَ ربُّكَ عزّ وجلّ فتُسأَلُ عن القليلِ والكثيرِ والصغيرِ والكبيرِ.

قالَ اللَّهُ عَزَّ وجَلَّ: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ١].

وقالَ اللَّهُ تعالَى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾ [الغاشية: ٢٥، ٢٦].

وقالَ اللَّهُ تعالَى: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴿٧﴾﴾ [الأعراف: ٦، ٧].

وقالَ اللَّهُ عَزَّ وَجلَّ: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴿٢١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ(٤) ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ(٥) ﴿٢٥﴾﴾ [القيامة: ٢٠ - ٢٥].

٣٨ ـ وعن جرير بن عبد اللَّهِ رضي اللَّهُ عنه قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَا إِنَّكم ستُعْرَضُونَ على رَبِّكُمْ فتَرَوْنَهُ كما تَرَوْنَ هذا القَمَرَ» رواه مسلم(٦).

---

(١) مسلم ٥٨٦.
(٢) السنن ١٤٣٤.
(٣) صحيح الجامع ٦/ ٢٥.
(٤) باسرة: أي كالحة عابسة.
(٥) فاقرة: أي هلاك وشر وعذاب.
(٦) مسلم ٤٤٠.

كُفْرُ المتبوعِ بالتابعِ

قالَ اللّهُ تبارَكَ وتَعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ۝٨١ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ۝٨٢﴾ [مريم: ٨١، ٨٢].

وقالَ اللّهُ جلَّ ثناؤُهُ: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ(١) وَقَالَ شُرَكَاؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ۝٢٨ فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ ۝٢٩﴾ [يونس: ٢٨، ٢٩].

وقالَ اللّهُ عزَّ وجلَّ: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ۝١٦٦ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ۝١٦٧﴾ [البقرة: ١٦٦، ١٦٧].

فهم يتبرؤون من عبادة عابديهم لهم ويقولون: ما كنا نشعر بعبادتكم لنا واللّهُ شهيدٌ بيننا وبينكم أنَّا كنا عن عبادتكم غافلين، فحينئذ يود المشركون لو عادوا إلى الحياة الدنيا مرةً أُخرى وعبدوا الله وحده وكانوا مسلمين.

وقالَ اللّهُ تبارَكَ وتَعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ۝٣١ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُم ۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ۝٣٢ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَن نَّكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝٣٣﴾ [سبأ: ٣١ - ٣٣].

وهذه صورة أخرى من صور الجدال والتبرؤ بين يدي الواحدِ القهّارِ، يقول الأتباعُ المستضعفون للكهنةِ والقساوسةِ والسادةِ والقادةِ: أنتم صددتمونا

---

(١) أي: فرقنا بينهم.

عن الهدى وأورثتمونا العذابَ فيقولُ هؤلاءِ: نحن أَمَرْناكُمْ بِرَفْضِ الإسلامِ للَّهِ وأمَرْناكُم باتخاذِ الأندادِ فما كان منكم إلا السمعُ والطاعةُ ما محَّصتم ولا ناقشتم أمرنا، فما جزاءُ هؤلاء وأتباعِهم إلا السلاسلُ التي تَجْمَعُ أيديهم مع أعناقِهم وإلا جهنم هُم فيها خالدون.

تبرؤ الملائكةِ من المشركين

قالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾ [سبأ: ٤٠، ٤١].

تقول الملائكةُ: سبحانك لا إلـهَ إلا أنت نحن عبيدُك ونبرأُ إليك من عبادتهم لنا ما أمَرْناهم بذلكَ ولكنهم كانوا يعبدون الشياطين وبهم يؤمنون.

فيقولُ اللَّهُ تبارَكَ وتعالَى: ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ [سَبأ: ٤٢] يُوَبِّخُهم اللَّهُ على عبادتِهم من لا يملك لهم اليومَ دفعًا ولا نفعًا وإعراضِهم عن الواحدِ القهّارِ وصدِّهم عن سبيلِهِ وتكذيبِ رسلِه.

عجزُ الأوثانِ عن نصرِ الكافرين

قالَ اللَّهُ تَعالَى: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا[1] ﴿٥٢﴾ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟[2] أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾﴾ [الكهف: ٥٢، ٥٣].

وقالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَقِيلَ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۚ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَهْتَدُونَ﴾ [القَصَص: ٦٤].

(١) أي: مهلكًا، وقيل: وادٍ في جهنم.
(٢) أي: تحققوا أنهم مواقعوها.

وقـالَ الـلَّهُ جَـلَّ ثَـنـاؤُهُ: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [الأنعام: ٩٤].

يخبرُ اللَّهُ عزَّ وَجلَّ عما يوبِّخُ به المشركين يومَ القيامة: ادعوا الآلهة التي كنتم تعبدونها في الحياة الدنيا هل ينصرونكم أو ينتصرون؟ يقول تعالى: ﴿فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَهْتَدُونَ﴾ [القـصـص: ٦٤] أي تمنوا حينئذ لو كانوا في الدنيا من المهتدين.

تبرؤ المسيحِ عليه السلامُ
ممن اتَّخذه وأُمَّه إلـٰهين من دون الواحد القهار

قـال الـلَّهُ تَـبـارَك وتـعـالـى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [المائدة: ١١٦ - ١١٨].

يقول عيسى عليه السلام: يا رب ما يكون لي أن أقول ما ليس من حقي. يا ربِّ إنه لا يخفى عليك شيءٌ، يا ربِّ ما أمرتُهم إلا بما أرسلتني به: أَنَّ الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراطٌ مستقيم، وكنت شهيدًا عليهم مدةَ مُكثي بينهم وأنا يا رب بريءٌ مما أحدثوا من بعدي. والأمر بيدك يا ربِّ فافعلْ بهم ما تشاء.

قلت: مع عظم مقامِ عيسى ابن مريم عليه وعلى أُمِّهِ السلامُ عند الله جلّ ثناؤه إِلَّا أَن عظم جرم النصارى وقولهم هذه الكلمة العظيمة من اعتقادهم بأن عيسى ابن الله، تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا، أقول إن إخلالهم بالتوحيد

جعلهم من شفاعته عليه السلام محرومين ومن رحمته تعالى مطرودين اللهم يا ولي الإسلام وأهله ثبتنا على التصديق والتوحيد حتى نلقاك مسلمين.

قال اللَّهُ تعالَى: ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [المائدة: ١١٩].

يقول تعالى مجيبًا عبده ورسوله عيسى عليه السلام: هذا يومُ ينفع الصادقين صدقُهم أي الموحدين الموقنين المخلصين الخاشعين بما يكون لهم من ثوابٍ في جنانِ الخُلدِ التي تجري من تحتها الأنهارُ ورضوانٍ من الله أكبرُ وذلك هو الفوز العظيم.

من فضائل هذه الأمةِ شهادتُهم على الأممِ يومَ القيامةِ

ثم يُدْعَى الرسلُ والأنبياء وأُممهم يوم القيامة فتنكر الأُممُ تبليغَ الرسلِ فتشهدُ هذه الأمةُ على قومِ نوح وقوم هود وقوم صالح وقوم شعيب وغيرهم أن رسلهم بلغتْهم وأنَّهم كذبوا رسلَهم.

٣٩ ـ عن أبي سعيدٍ الخدْري رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «يُجاءُ بنوحٍ يومَ القيامةِ فيقال لَهُ: هل بَلَّغْتَ؟ فيقول: نَعَمْ يا رَبِّ، فَتسْأَلُ أُمَّتُهُ: هل بَلَّغَكُمْ؟ فيقولونَ: ما جاءَنا من نذيرٍ، فيقولُ: من شُهودُكَ؟ فيقولُ: مُحَمدٌ وأُمَّتُهُ، فيجاءُ بِكُم فَتَشْهَدُون»، ثم قرأ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «وكذلكَ جَعلناكُم أُمَّةً وسطًا» قال: عَدْلًا «لتَكُونوا شُهداءَ على الناسِ ويكونَ الرسولُ عليكُم شَهِيدًا» رواه البخاري[١].

٤٠ ـ وعنه أيضًا رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «يَجيءُ النبيُّ يومَ القيامةِ وَمَعَهُ الرَّجُلَ والنبيُّ ومعهُ الرَّجُلانِ وأكثرُ من ذلك فيُدعى قومُهُ فيقالُ

---

(١) الفتح ١٧/ ٨١.

لهم هل بلَّغكم هذا؟ فيقولون: لا فيقالُ له: هل بلَّغتَ قومَك؟ فيقولُ: نعم، فيقالُ له: من يشهدُ لك؟ فيقول: محمدٌ وأُمته، فيُدعى محمدٌ وأُمته فيقالُ لهم: هل بَلَّغَ هذا قومه؟ فيقولون: نعم فيقالُ: وما عِلْمُكُم؟ فيقولون: جاءَنا نبيُّنا فأَخْبَرَنَا أن الرُّسُلَ قد بَلَّغوا فذلك قوله ـ وكَذَلِكَ جعلناكُم أُمَّةً وسطًا ـ قال يقول عَدْلًا ـ لِتَكونوا شُهَدَاءَ على النَاسِ وَيكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا» رواه أحمد[١] وصححه الألباني[٢].

مناقشةُ الحسابِ

ثم يحاسِبُ اللَّهُ عزَّ وجلَّ عبادَه فمنهم من يناقشه في الحساب ويستقصي عليه ويوقفه على قبيح أعماله ثم يساقُ إلى جهنَّم.

قالَ اللَّهُ عَزَّ وَجلَّ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريَم: ٣٩].

وقالَ اللَّهُ تَعالَى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا﴾ [آل عِمرَان: ٣٠].

السؤالُ يومئذ عن خمسٍ

٤١ ـ عن عبد اللَّهِ بن مسعودٍ رضي اللَّهُ عنه عن النَّبيِّ ﷺ قال: «لا تَزُولُ[٣] قدَما ابن آدمَ يَومَ القيامةِ من عند ربِّهِ حتى يُسأَلَ عَن خَمْسٍ: عن عُمُرهِ فِيمَ أفناهُ وعن شَبابِهِ فيمَ أبلاهُ، ومالِهِ من أينَ اكتَسَبَهُ وفِيمَ أَنْفَقَهُ وماذا عَمِلَ فيما عَلِمَ» رواه الترمذي[٤] وقالَ الألباني: إسناده حسن[٥].

(١) المسند ٣/ ٥٨.
(٢) صحيح الجامع ٦/ ٣٢٥.
(٣) أي إلى الجنة أو إلى النار.
(٤) السنن ٩/ ٢٥٣.
(٥) صحيح الجامع ٦/ ١٤٨.

وكذلك اليوم تُنسى

٤٢ ـ عن أبي هريرة رضي اللَّهُ عنه قالَ: قالُوا: يا رسولَ اللَّهِ هل نَرَى رَبَّنا يومَ القيامَةِ؟ قالَ: «هل تُضَارُونَ في رُؤيَةِ الشَّمْسِ في الظَّهِيرَةِ لَيسَتْ في سَحابةٍ؟» قالوا: لا قال: «فهل تُضَارُون في رُؤيَةِ القَمَرِ لَيلَةَ البَدْرِ ليسَ في سَحابةٍ؟» قالوا: لا قال: «فوالذي نَفْسِي بيدِهِ لا تُضَارُونَ في رُؤيَةِ رَبِّكُم إلَّا كما تُضَارُونَ في رُؤيَةِ أَحَدِهِمَا، قال فَيَلْقَى العَبْدَ فيقولُ: أي فُلْ[١] ألم أُكْرِمْكَ وأُسَوِّدْكَ[٢] وأُزَوِّجْكَ وأُسَخِّر لَكَ الخَيلَ والإبِلَ وأَذَرْكَ تَرْأَسُ وتَرْبَعُ[٣] فيقولُ: بَلَى قالَ: فيقولُ: أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِيَّ؟ فيقولُ: لا، فيقولُ: فإنِّي أَنْساكَ كَما نَسِيْتَنِي، ثم يَلْقَى الثانيَ فيقولُ: أَيْ فُلْ، ألم أُكرمكَ وأُسوِّدكَ وأُزوِّجكَ وأُسخِّرْ لَكَ الخيلَ والإبلَ وأَذَرْكَ تَرْأَسُ وتَربَعُ؟ فيقول: بلى أَي رَبِّ فيقول: أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلاقِيَّ؟ فيقولُ: لا فيقولُ: فإنِّي أَنساكَ كما نَسِيْتَنِي، ثم يَلْقَى الثالثَ فيقولُ لَهُ مِثْلَ ذلِكَ فيقولُ: يا رَبِّ آمنتُ بكَ وبكتابِكَ وبِرُسُلِكَ وَصَلَّيْتُ وصُمْتُ وتَصَدَّقْتُ ويُثْني بِخَيْرٍ ما استطاعَ فيقولُ: هَـٰهُنَا إِذًا، قال ثم يقالُ له: الآنَ نبعثُ شاهِدَنَا عليكَ، ويتفكرُ في نَفسِهِ: من ذَا الذي يَشْهَدُ عليَّ؟ فيُخْتَمُ على فِيْهِ ويقالُ لِفَخذِهِ وَلَحمِهِ وعِظَامِهِ: انْطِقِي، فَتَنْطِقُ فَخذُهُ وَلَحْمُهُ وعِظامُهُ بِعملِهِ، وذلِكَ لِيُعْذِرَ من نَفْسِهِ، وذلِكَ المنافِقُ، وذلِكَ الذي يَسْخَطُ اللَّهُ عليه» رواه مسلم[٤].

٤٣ ـ وعن أنسِ بنِ مالكٍ رضي اللَّهُ عنه عن النبيّ ﷺ قال: «يقولُ اللَّهُ تعالى لأَهْوَنِ أَهْلِ النارِ عذابًا يومَ القيامةِ: لَوْ أَنَّ لكَ ما في الأَرضِ من شيءٍ أَكُنْتَ تَفْتَدِي بهِ؟ فيقولُ: نعم فيقولُ: أَردتُ منكَ أَهْوَنَ من هذا

---

(١) أي يا فلان. (٢) أي أجعلك سيدًا على غيرك.

(٣) أي تأخذ المرباع الذي كانت ملوك الجاهية تأخذه من الغنيمة وهو ربعها وقيل معناه: أي تستريح فلا تشقى ولا تتعب، والله أعلم.

(٤) مسلم ٢٢٧٩.

وأَنتَ في صُلْبِ آدَمَ: أَنْ لا تُشْرِكَ بي شيئًا فأبيتَ إلَّا أنْ تُشْرِكَ بي». متفق عليه(١).

من نُوقِشَ الحساب عُذِّب

٤٤ ـ عن عائشةَ أُمِّ المؤمنينَ رضيَ اللَّهُ عنها أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «لَيْسَ أَحدٌ يحاسَبُ يومَ القيامَةِ إلَّا هَلَكَ» فقلتُ: يا رسولَ اللَّهِ أليسَ قد قالَ اللَّهُ تَعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾﴾ [الانشقاق: ٧، ٨] فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّما ذلكَ العَرْضُ وليسَ أَحَدٌ يُناقَشُ الحِسابَ يومَ القيامَةِ إلَّا عُذِّبَ» متفق عليه(٢).

لا تُرْجُمانَ بين العبدِ وبين ربهِ عزَّ وجلَّ

٤٥ ـ عن عَدِي بنِ حاتِمِ رضي اللَّهُ عنهُ قالَ: قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «ما مِنْكُم من أَحدٍ إلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ لَيسَ بينَهُ وبينَهُ تُرْجُمانٌ، فينظُرُ أَيمَنَ منهُ فَلا يَرَى إلَّا ما قَدَّمَ مِنْ عَمَلِهِ وينظُرُ أَشأَمَ منهُ فلا يَرَى إلا ما قَدَّمَ، وينظُرُ بينَ يديهِ فلا يَرَى إلا النَّارَ تِلْقاءَ وجهِهِ، فاتقوا النارَ ولو بِشِقِّ تَمرةٍ» رواه البخاري(٣).

فتأملْ يا عبدَ اللَّه موقفَك غدًا بين يدي العزيز القهارِ فإنها والله ساعةٌ لا يخفى على الموقنين رهبتُها ولا على المتقين شدَّتُها.

أول ما يُحاسَب الناس به يومئذ

وأول ما يحاسَبُ العبدُ عليه يومئذ الصلاةُ فإن صلُحت صلُحَ له سائرُ عملِه وإن فَسَدَتْ فسدَ سائرُ عملِه.

٤٦ ـ عن أنس بن حكيم الضبي قال: خافَ من زياد أو ابن زياد فأتى المدينة فلقِيَ أبا هريرة قال: فَنَسَبنِي فانتَسَبْتُ لهُ فقال: يا فتى ألا أُحَدِّثُكَ

(١) الفتح ١٤/ ٢١٦ ومسلم ٢١٦٠.
(٢) الفتح ١٤/ ١٩٣ ومسلم ٢٢٠٥.
(٣) الفتح ١٧/ ٢٥٥.

حديثًا؟ قال: قلتُ: بلى رَحِمَكَ اللّٰهُ، قال يونس وأحسَبُهُ ذَكَرَهُ عن النبيِّ ﷺ قال: «إنَّ أول ما يحاسَبُ الناسُ بهِ يومَ القيامَةِ من أعمالِهِمُ الصَّلاة قالَ: يقولُ رَبُّنا عزَّ وجلَّ لملائِكَتِهِ وهو أَعلمُ: انظُروا في صلاةِ عَبدي أَتمَّها أم نقَصها؟ فإن كانت تامَّةً كُتِبَتْ لَهُ تامَّة، وإن كان انتَقَصَ منها شَيئًا قالَ: انظُروا هل لعَبْدِي من تَطوُّعٍ؟ فإن كانَ لَهُ تَطوُّعٌ قالَ: أَتِمُّوا لعَبْدِي فَرِيْضَتَهُ مِنْ تَطوُّعِهِ، ثم تُؤخذُ الأَعمالُ على ذاكم» رواه أحمد[١] وأبو داود[٢] وصححه الألباني[٣].

الحساب اليسير

ويدني اللّٰهُ عزَّ وجلَّ بعضَ المؤمنين الذين أسرفوا عى أنفسهم فيعرض عليهم أعمالَهم ويقررهم ويذكرهم بذنوبٍ عملوها في الدنيا ثم يعفو عنهم ليعلموا مِنَّة اللّٰه جلّ ثناؤه على أهل الإيمان والإسلام.

٤٧ ـ عن عبد اللّٰهِ بنِ عُمَرَ رَضِي اللّٰهُ عنهُمَا قالَ: قالَ رسولُ اللّٰهِ ﷺ: «إنَّ اللّٰهَ يُدْنِي المؤمِنَ فَيَضَعُ عَلَيهِ كَنَفَهُ[٤] وَيَسْتُرُهُ فيقولُ: أتعرِفُ ذَنْبَ كَذا؟ أتعرِفُ ذَنْبَ كَذا؟ فيقولُ: نَعَمْ أيْ رَبِّ، حتى قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ ورأى في نَفْسِهِ أَنَّهُ قد هَلَكَ قالَ: سَتَرتُها عليك في الدنيا وأنا أغفِرُها لكَ اليومَ فَيُعطى كتابَ حسناتِهِ وأما الكُفَّارُ والمنافقونَ فيُنَادَى بِهِم على رُؤُوس الخَلائِقِ ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هُـــود: ١٨] متفق عليه[٥].

وقد علمتَ يا عبدَ الله أن اللّٰهَ عزَّ وجلَّ يَغضَبُ في هذا اليوم غضبًا شديدًا ـ نعوذ بالرحمٰن من غضبته ـ كما تقدم في الصحيحين عن آدم وإبراهيم وموسى وعيسى حين يسألهم الناسُ الشفاعةَ وكلُّهم يقول: «إنَّ ربي قد غَضِبَ اليومَ

---

(١) المسند ٢/ ٤٢٥.
(٢) السنن ١/ ٢٠٠.
(٣) صحيح الجامع ٢/ ٣٥٢.
(٤) أي يستره.
(٥) الفتح ٦/ ٢٢ ومسلم ٢١٢٠.

غَضَبًا لم يغضبْ قبلَه مثلَه ولن يغْضَبَ بعدَه مثلَه، نفسي نفسي» فتأمل يا عبدَ اللَّهِ حالَ هؤلاءِ الرسلِ والأنبياءِ الذين رضي اللَّهُ عنهم وأنعمَ عليهم وامتدحهم وكيف كان جوابُهم «نفسي نفسي» فهابوا الجبارَ أن يسألوه التخفيفَ عن أهلِ الموقفِ، فكيفِ بك ثم كيف بك إذا قيل: ليقم فلانٌ ابن فلانٍ، وكيف بك وقد عُرِضَتْ سجلاتُ أعمالِك ما شذَّتْ عنها صغيرةٌ ولا كبيرةٌ وكيف بك إن كان الحكم عليك الخلودُ في نار جهنَّمَ، فاتَّقِ اللَّهَ، اتَّقِ اللَّهَ.

أول ما يُقضى بين الناسِ يَومَئِذٍ في الدماءِ

٤٨ ـ عن عبدِ اللَّهِ بن مسعودٍ رضي اللَّهُ عنهُ قال: قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «أَوَّلُ ما يُقْضَى بينَ النَّاسِ يومَ القيامةِ في الدِّماءِ» متفق عليه(١).

قال العلماء: ليس هذا الحديثُ مخالفًا للحديث المتقدم «أول ما يُحاسَبُ الناسُ به من أعمالهِم الصلاة» لأن هذا الأخيرَ فيما يتعلق بعبادة الخالقِ أما الآخرُ فهو فيما يتعلق بمعاملات الخلق.

كيفية القصاصِ يومئذٍ

٤٩ ـ عن أبي هريرةَ رضيَ اللَّهُ عنهُ قالَ: قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ كانتْ له مَظْلَمَةٌ لأَخِيهِ من عِرْضِهِ أو شيءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ اليومَ قَبْلَ أَنْ لا يَكُونَ دينارٌ ولا دِرْهَمٌ، إن كانَ لهُ عَمَلٌ صالحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ، وإن لم تكن لَه حسناتٌ أُخِذَ من سيئاتِ صاحِبِهِ فحُمِلَ عليه» رواه البخاري(٢).

٥٠ ـ وعن أَبي هريرةَ رَضِي اللَّهُ عنهُ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «أَتدرونَ ما المُفْلِسُ؟» قالوا: المفلِسُ فينَا من لا درهَمَ لهُ ولا متاعَ فقالَ: «إِنَّ المُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يأْتي يومَ القيامَةِ بصلاةٍ وصيامٍ وزكاةٍ ويأْتي قد شَتَمَ هذا وقَذَفَ هذا وأَكَلَ مالَ هذا وسَفَكَ دَمَ هذا وضَرَبَ هذا فيُعْطَى هذا من حسناتِهِ وهذا من حسناتِهِ

(١) الفتح ١٤/١٨٧ ومسلم ١٣٠٤. (٢) الفتح ٦/٢٦.

فإنْ فَنِيَتْ حسناتُهُ قبلَ أن يُقْضَى ما عليهِ أُخِذَ من خَطاياهُم فطُرِحَتْ عليهِ ثم طُرِحَ في النَّارِ» رواه مسلم(١).

المراؤون أول الناس يقضى عليهم يوم القيامة

٥١ ـ عن أبي هريرةَ رضي اللَّهُ عنه قالَ: سمعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ: «إنَّ أَوَّلَ الناس يُقْضَى يَومَ القِيامَةِ عليهِ رَجُلٌ استُشْهِدَ فأُتِيَ به فَعرَّفَهُ نِعَمَهُ فعَرَفَهَا، قالَ: فما عَمِلْت فِيها؟ قال: قاتَلْتُ فيكَ حتى استُشْهِدْتُ قال: كَذَبْتَ، ولكنك قاتَلتَ لأنْ يُقال جريءٌ فقد قيلَ، ثُم أُمِرَ بِهِ فسُحِبَ على وَجهِهِ حتى أُلقِيَ في النار، وَرَجُلٌ تعلَّمَ العِلْمَ وعَلَّمَهُ وقرأَ القرآنَ فأُتيَ به فعرَّفَهُ نِعَمَهُ فعَرَفَهَا قالَ: فما عَمِلْتَ فيها؟ قال: تَعلمتُ العلمَ وعَلَّمتُهُ وقرأتُ فيكَ القرآن، قال: كذبتَ ولكنكَ تَعَلَّمتَ العِلْمَ ليقالَ عالمٌ وقرأتَ القرآن، ليقالَ هو قارىءٌ فقد قيل، ثم أُمِرَ بِهِ فسُحِبَ على وجهِهِ حتى أُلقِيَ في النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عليهِ وأَعطاهُ من أَصنافِ المالِ كُلِّهِ فأُتِيَ به فعرَّفَهُ نِعَمَهُ فعَرَفَهَا، قالَ: فما عَمِلْت فيها؟ قال: ما تَركتُ من سبيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فيها إلا أَنْفَقْتُ فيها لَكَ قال: كَذَبْتَ، ولكنَّكَ فَعلتَ ليقالَ هو جوادٌ فقد قيلَ، ثم أُمِرَ به فسُحِبَ على وجهِهِ ثم أُلقي في النَّار» رواه مسلم(٢).

المصوّرون من أشدِّ الناسِ عذابًا يومئذ

٥٢ ـ عن عائشة أُمِّ المؤمنين رضي اللَّهُ عنها قالت: دَخَلَ عليَّ النبيُّ ﷺ وفي البيتِ قِرامٌ(٣) فيه صُوَرٌ، فتلوَّن وجهُهُ(٤) ثم تناوَلَ السِّتْرَ فَهَتَكَهُ(٥) وقالت: قالَ النبيُّ ﷺ: «مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عذابًا يومَ القيامَةِ الذينَ يُصَوِّرُونَ هذِهِ الصُّور» متفق عليه(٦).

---

(١) مسلم ١٩٩٧.
(٢) مسلم ١٥١٤.
(٣) قرام: أي ستر.
(٤) تلوّن: أي تغيّر من الغضب.
(٥) هتكه: أي جذبه حتى أوقعه من موضعه.
(٦) الفتح ١٣/ ١٣١ ومسلم ١٦٦٧.

٥٣ ـ وعن عبد اللَّهِ بن عمر رضي اللَّهُ عنهما أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «إِنَّ الذينَ يَصْنَعُونَ هذِهِ الصُّوَرَ يُعَذَّبُونَ يومَ القيامَةِ، يقالُ لهم: أَحيُوا ما خَلَقْتُم» متفق عليه[١].

٥٤ ـ وعن ابنِ عباسٍ رضي اللَّهُ عنهما قال: سمعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ: «كُلُّ مُصَوِّرٍ في النَّارِ، يَجْعَلُ[٢] لهُ بِكُلِّ صُورَةٍ صَوَّرَهَا نَفْسًا فَتُعَذِّبُهُ في جَهَنَّمَ» رواه مسلم[٣].

يا ابنَ آدمَ مرضتُ فلم تَعُدْني

٥٥ ـ عن أبي هريرةَ رضي اللَّهُ عنه قالَ: قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «إن اللَّهَ عزَّ وجلَّ يقولُ يومَ القيامَةِ: يا ٱبنَ آدَمَ، مَرِضْتُ فلم تَعُدْنِي، قالَ: يا رَبِّ كيف أعودُكَ وأنتَ رَبُّ العالَمين؟ قال: أَما عَلِمْتَ أَنَّ عبدِي فُلانًا مَرِضَ فلم تَعُدْهُ؟ أما عَلِمتَ أَنَّكَ لو عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ؟ يا ٱبنَ آدَمَ، استَطْعَمْتُكَ فلم تُطْعِمْنِي، قالَ: يا رَبِّ وكَيفَ أُطْعِمُكَ وَأَنتَ رَبُّ العالَمِين؟ قالَ: أما عَلِمْتَ أَنَّه استَطْعَمَكَ عَبْدِي فلانٌ فَلَمْ تُطْعِمْهُ؟ أَمَا عَلِمتَ أَنَّكَ لو أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذلِكَ عِنْدِي؟ يا ٱبْنَ آدَمَ اسْتَسْقَيْتُكَ فلم تَسْقِنِي، قالَ: يا رَبِّ كَيْفَ أَسْقِيكَ وأَنْتَ رَبُّ العالَمينَ؟ قال: اسْتَسْقَاكَ عبدي فُلانٌ فلم تَسْقِهِ، أَمَّا إِنَّكَ لو سَقَيْتَهُ وَجَدْتَ ذلِكَ عِنْدِي» رواه مسلم[٤].

صِبْغَةُ النار وصِبْغَةُ الجنةِ

٥٦ ـ عن أنسِ بن مالكٍ رَضي اللَّهُ عنه قالَ: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «يُؤْتَى بأَنْعَمِ أَهلِ الدنيا من أَهْلِ النارِ يومَ القيامَةِ فيُصْبَغُ في النَّارِ صَبْغَةً[٥] ثُم يُقالُ: يا ابنَ آدمَ، هل رأيتَ خيرًا قَطُّ؟ هَل مَرَّ بِكَ نَعيمٌ قَطُّ؟ فيقولُ: لا واللَّهِ يا رَبِّ،

---

(١) الفتح ١٢/٥٠٨ ومسلم ١٦٦٩.
(٢) الفاعل هو الله تعالى، أُضمر للعلم به.
(٣) مسلم ١٦٧١.
(٤) مسلم ١٩٩٠.
(٥) أي يغمس غمسة.

ويؤتى بأشدِّ الناسِ بُؤسًا في الدنيا من أهلِ الجنَّةِ فَيُصْبَغُ صَبْغَةً في الجنَّةِ فيقالُ لَهُ: يا ابنَ آدَمَ هل رأيتَ بُؤسًا قَطُّ؟ هل مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فيقولُ: لا واللَّهِ يا رَبِّ ما مَرَّ بي بُؤْسٌ قَطُّ ولا رأيْتُ شِدَّةً قَطُّ» رواه مسلم(١).

٥٧ ـ وعن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «يُؤتَى بالرجلِ من أهلِ الجنةِ فيقولُ لَهُ يا ابنَ آدَمَ كيفَ وجدتَ منزلكَ فيقولُ: أي رَبِّ خيرَ منزلٍ فيقول: سَلْ وَتَمَنَّ فيقولُ: ما أَسأَلُ وأَتَمنى إِلَّا أن تردني إلى الدنيا فأُقتل في سبيلك عشر مرات، لما يرى من فضل الشهادة ويُؤتَى بالرجلِ من أهلِ النارِ فيقولُ لَهُ: يا ابنَ آدَمَ كيفَ وَجدتَ منزلكَ؟ فيقول: أي رَبِّ شَرَّ منزلٍ فيقولُ لَهُ: أتفتدى منه بطلاع(٢) الأَرض ذهبًا؟ فيقولُ: أي رَبِّ نعم فيقولُ: كذبتَ قد سألتك أقل من ذلك وأيسر فلم تفعل، فيُرَدُّ إلى النارِ» رواه أحمد(٣) وصححه الأَلباني(٤).

قِصَرُ يومِ القيامةِ على المؤمنين

٥٨ ـ عن أَبي هريرةَ رضي الله عنه أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «يومُ القيامةِ على المؤمنين كَقَدْرِ ما بين الظهرِ والعصرِ» رواه الحاكم وصححه الأَلباني(٥).

صفةُ حسابِ رجل ممّن شاء الله تعالى أن يغفر له بالرغم من كثرة سيئاته

قـالَ الـلَّهُ تـعـالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النِّساء: ٤٨].

٥٩ ـ وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقول: «إِنَّ اللَّهَ سيُخَلِّصُ رَجُلًا من أُمَّتي على رؤوسِ الخَلائِقِ

(١) مسلم ٢١٦٢.
(٢) أي قدرها.
(٣) المسند ٣/٢٠٨.
(٤) صحيح الجامع ٦/٣١١.
(٥) صحيح الجامع ٦/٣٦٦.

يومَ القيامةِ فينشُرُ عليهِ تسعةً وتسعينَ سِجِلّاً كلُّ سِجِلٍّ مثلُ مَدِّ البَصَرِ ثم يقولُ: أَتُنْكِرُ من هذا شيئًا؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الحافِظون؟ فيقولُ: لا يا رَبِّ فيقولُ: أَفَلَكَ عُذرٌ؟ فيقُولُ: لا يا رَبِّ فيقولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عندنا حسنةً فإنَّه لا ظُلْمَ عليكَ اليومَ، فتخْرُجُ بطاقَةٌ فيها أَشْهَدُ أَنْ لا إِلـٰهَ إلا اللّـٰهُ وأَشْهَدُ أَنَّ مُحمدًا عبدُهُ ورسولُهُ فيقولُ: اَحْضَرْ وَزْنَكَ فيقولُ يا رَبِّ ما هذِهِ البطاقةُ مع هذِهِ السِّجلَّاتِ؟ فقالَ: إِنَّكَ لا تُظْلَمُ، قالَ: فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ في كَفَّةٍ والبطَاقَةُ في كَفَّةٍ فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ وَثَقُلَتِ البِطَاقَةُ فَلا يَثْقُلُ مَعَ اسمِ اللّهِ شيءٌ» رواه أحمد[١] والترمذي[٢] والحاكم[٣] وقال صحيح الإسناد على شرط مسلم ووافقه الذهبي والألباني[٤].

الأمر باتِّباعِ كل أُمةٍ ما كانت تعبدُ وسقوطُ الكفارِ في النارِ، وكشفُ الساقِ، وتحوُّلُ الخلائقِ من الموقفِ والمرورُ على الصراطِ وشفاعة النبيِّ ﷺ والنبيين والملائكةِ عليهم السلامُ والمؤمنين وشفاعةُ أَرحمِ الراحمين

ثم ينادي المُنَادي: لِيذْهَبْ كلُّ قومٍ إلى ما كانوا يعبُدون، فيسمعون ويطيعون ويتساقطون في جهنم ولا يبقى إلا من كان يعبدُ اللّهَ من بَرٍّ وفاجِرٍ فيأتيهمُ اللّهُ جلَّ ثناؤه في صورةٍ غير التي رأوه فيها أوّل مرةٍ فيقولُ: أنا ربُّكم فيستعيذون بالله منه ويقولون: إذا جاءَ ربُّنا عرفناه فيقول: هل بينكم وبينه آيةٌ فتعرفونه بها فيقولون: نَعَمْ الساقُ، فيكشِفُ الرحمـٰنُ عن ساقهِ فيسجد له كلُّ مؤمنٍ ويستعصي السجودُ على المنافقِ والمرائي، ثم يرفعون رؤوسَهُمْ وقد تحوّلَ اللّهُ تبارك وتعالى في صورتهِ الأولى فيقول: أنا ربُّكم فيقولون: أنت ربُّنا. ثم يُؤتى بالصِّراطِ فيُجعلُ بين ظهريْ جهنم ويمرُّ الناسُ عليه إلى الجنةِ، وهو أَدَقُّ من الشَّعْرَةِ، وأَحَدُّ من السَّيفِ. وسرعةُ الناسِ عليه على قَدْرِ أعمالهم

(١) المسند ٢/ ٢١٣.
(٢) السنن ١٠/ ١٠٧.
(٣) المستدرك ١/ ٦.
(٤) الأحاديث الصحيحة حديث ١٣٥.

فالمؤمن كالطَّرْفِ وكالبرقِ وكالريحِ وكأجاويدِ الخيلِ والركابِ وعلى الصراطِ خطاطيفُ مأمورةٌ، فمن الناسِ مَن ينجو ومنهم مَن يُخْدَشُ ومنهم الموبق بعمله فإذا فَرغَ اللّهُ عزَّ وجلَّ من القضاء بين عباده أذِنَ للشافعين في إخراجِ المؤمنين الذين أَوْبَقَتْهُمْ أعمالُهم في النارِ فيخرجون وقد ماتوا وتفحَّموا فيُلقَوْن في نَهرِ الحياةِ بأفواهِ الجنةِ فينبتُون كما تنبُتُ الحبَّةُ فيخرجونَ كأنهم اللؤلؤ ثم يُدخِلُهم اللّهُ جلَّ ثناؤه الجنَّةَ.

حديثُ الصراطِ

٦٠ ـ عن أبي سعيدِ الخُدْرِيِّ رَضي اللّهُ عنه قالَ: قلنا: يا رسولَ اللّهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ القيامَةِ؟ قالَ: «هَلْ تُضارُونَ[١] في رُؤيَةِ الشَّمْسِ والقَمَرِ إذا كانَتْ صَحْوًا؟» قُلنا: لا، قالَ: فَإِنَّكُمْ لا تُضارُونَ في رؤيةِ رَبِّكُم يَومَئِذٍ إلَّا كما تُضارُونَ في رُؤيَتِهِمَا» ثم قالَ: «يُنَادِي منادٍ: لِيَذْهَبْ كُلُّ قَومٍ إلى ما كانوا يَعْبُدُونَ، فَيَذْهَبُ أصحابُ الصَّلِيْبِ مَعَ صَلِيْبِهِمْ وأَصْحابُ الأوثانِ مَعَ أَوثانِهِمْ وأَصْحابُ كُلِّ آلهةٍ مَعَ آلِهَتِهِمْ حتى يَبْقَى من كانَ يَعْبُدُ اللّهَ من بَرٍّ أو فاجِرٍ وغُبَّراتٌ[٢] من أَهلِ الكتابِ. ثم يُؤتَى بجهنَّمَ تُعرَضُ كأنَّها سَرابٌ فيقالُ لليهودِ: ما كُنتُمْ تَعبُدُون؟ قالوا: كُنا نعبُدُ عُزَيْرَ ابنَ اللّهِ، فيقالُ: كَذَبْتُم لَمْ يَكُنْ لِلّهِ صاحبَةٌ ولا وَلَدٌ، فما تُرِيدُون؟ قالوا: نُريدُ أَن تَسقِيَنَا فيقالُ: اشرَبُوا، فَيَتَساقَطُونَ في جَهنَّمَ ثم يقالُ للنَّصارَى: ما كُنتُمْ تَعْبُدُونَ؟ فيقولونَ: كُنَّا نعبُدُ المَسِيْحَ ابنَ اللّهِ فيقالُ: كَذَبْتُمْ لمْ يَكُنْ للّهِ صاحبةٌ ولا وَلَدٌ فما تُريدونَ؟ فيقولونَ: نُريدُ أن تَسْقِيَنَا فيقالُ: اشرَبُوا، فَيَتَساقَطُون حتى يَبْقَى من كَانَ يَعْبُدُ اللّهَ من بَرٍّ أو فاجِرٍ فيقالُ لهم: ما يَحْبِسُكُمْ وقد ذَهَبَ الناسُ؟ فيقولونَ فارقناهم ونحنُ أحوجُ مِنَّا إليهِ

(١) تضارون: رويت بتشديد الراء وبتخفيفها والتاء مضمومة فيها ومعنى المشدد: هل تضارون غيركم في حالة الرؤية بزحمة أو غيرها لخفائه، ومعنى المخفف: هل يلحقكم في رؤيته ضر، وهو الضرر.

(٢) غُبّرَات: أي بقاياهم جمع غابر.

اليومَ[١]، وإنَّا سَمِعْنَا مناديًا يُنادي: لِيَلْحَقْ كُلُّ قومٍ بِمَا كانُوا يَعبُدون وإنَّما نَنْتَظِرُ رَبَّنا، قالَ: فيأْتِيهِمُ الجبَّارُ في صُورةٍ غَيْرِ صورتِهِ التي رَأَوْهُ فِيها أَوَّلَ مَرَّةٍ فيقولُ: أَنَا رَبُّكُمْ فيقولونَ: أَنْتَ رَبُّنَا - وفي روايةٍ عندَ البخاري[٢] - فيقولونَ: هذا مكانُنا حتى يأْتينا رَبُّنا فإذا جاءَ رَبُّنا عَرَفْنَاهُ، فيأْتِيهِمُ اللَّهُ في صورَتِهِ التي يَعْرِفُونَ - فلا يُكَلِّمُهُ إِلَّا الأنبياءُ فيقولُ: هَلْ بينَكم وبينَهُ آيَةٌ تَعْرِفُونَهُ؟ فيقولونَ السَّاقُ، فَيَكْشِفُ عن ساقِهِ فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤمِنٍ وَيَبْقى من كانَ يَسْجُدُ لِلَّهِ رياءً وسُمْعَةً فَيَذْهَبُ كَيْمَا يَسْجُدَ فيعودُ ظَهْرُهُ طَبَقًا واحِدًا[٣]، ثم يُؤتَى بالجَسْرِ فيُجْعَلُ بين ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ[٤]» قلنا: يا رسولَ اللَّهِ وما الجَسْرُ؟[٥] قالَ: «مَدْحَضَةٌ مَزَلَّةٌ[٦] عليه خَطَاطِيفُ وكَلَالِيبُ[٧] وحَسَكَةٌ[٨] مُفَلْطَحَةٌ[٩] لها شوكَةٌ عَقِيْفَةٌ[١٠] تكونُ بِنَجْدٍ يقالُ لها السَّعْدانُ، المؤمنُ عليها كالطَّرْفِ[١١] وكالبَرْقِ وكالريحِ وكَأَجاويدِ الخَيْلِ والرِّكابِ، فناجٍ مُسَلَّمٌ، وناجٍ مَخْدوشٌ، وَمَكْدُوسٌ في نارِ جَهَنَّمَ[١٢] حتى يَمُرَّ

---

(١) أي فارقناهم في الدنيا لما زاغوا مع احتياجنا لهم ولزمنا طاعته سبحانه، فهم يتضرعون إلى الله سبحانه أن يكشف هذه الشدة عنهم.

(٢) الفتح ١٧/ ١٩٧.

(٣) الطبق: فقار الظهر، أي صار فقاره واحدًا، كالصفيحة لا يقدر على السجود لله تعالى.

(٤) وفي رواية عند مسلم قال: «قال: فما تنتظرون؟ تتبع كل أمة ما كانت تعبد قالوا: يا ربنا فارقنا الناس في الدنيا أفقر ما كنا إليهم ولم نصاحبهم فيقول: أنا ربكم فيقولون: نعوذ بالله منك لا نشرك بالله شيئًا - مرتين أو ثلاثًا - حتى إن بعضهم ليكاد ينقلب، فيقول: هل بينكم وبينه آية فتعرفونه بها؟ فيقولون: نعم، فيكشف عن ساق فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن الله له بالسجود ولا يبقي من كان يسجد اتقاء ورياء إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة كلما أراد أن يسجد خرّ على قفاه، ثم يرفعون رؤوسهم وقد تحوّل في صورته التي رأوه فيها أول مرة فقال: أنا ربكم فيقولون: أنت ربنا». مسلم ١٦٨.

(٥) الجِسْر: بفتح الجيم وكسرها وهو الصراط.

(٦) مدحضة مزّلة: الدحض والمزلة بمعنى واحد وهو الموضع الذي تزل فيه الأقدام ولا تستقر.

(٧) الخطاطيف والكلاليب: جمع خطافٍ وكلوب أو كلاب. والخطاف حديدة حجناء أي معوجة والكلوب أيضًا حديدة معطوفة الرأس.

(٨) الحسكة: شوكة صلبة معروفة.

(٩) مفلطحة: أي عريضة.

(١٠) عقيفة: أي ملوية كالصنارة.

(١١) كالطرف: أي أنه يمر بسرعة الطرف، وهو إطباق الجفن على الجفن.

(١٢) معناه أن أصحاب الصراط ثلاثة أقسام: قسم يسلم فلا يناله شيء وقسم يخدش ثم يرسل=

آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحْبًا، فما أنتم بأشَدَّ لي مُناشَدَة في الحَقِّ قد تَبيَّنَ لَكُم مِنَ المُؤمِنِ يومَئِذٍ للجَبَّار، وإذا رأوا أنَّهُمْ قَدْ نَجَوْا في إخْوانِهِمْ[١]، يقولونَ: رَبَّنا، إخوانُنا كانوا يُصلُّونَ مَعَنا ويَصُومُونَ مَعَنا وَيَعْمَلُونَ[٢] مَعَنا فيَقولُ اللَّهُ تَعالى: اذْهَبوا فمن وَجَدْتُمْ في قلبِهِ مِثْقالَ دينارٍ من إيمان فأخْرِجُوهُ، وَيُحَرِّمُ اللَّهُ صُوَرَهُمْ على النَّارِ، فَيأتونَهُمْ وَبَعْضُهُمْ قد غابَ في النارِ إلى قَدَمِهِ وإلى أنْصافِ ساقَيْهِ فيُخْرِجونَ مَنْ عَرَفوا ثُمَّ يعودونَ، فيقولُ: اذْهَبُوا فمن وَجَدْتُم في قَلْبِهِ مِثْقالَ نِصفِ دينارٍ فأخرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ من عَرَفوا. ثُمَّ يَعودون فيقولُ: اذهَبُوا فمن وَجَدْتُمْ في قِلبِهِ مثقالَ ذَرَّةٍ من إيمانٍ فأَخْرِجُوهُ فَيُخْرِجُونَ من عَرَفُوا»، قالَ أبو سعيد: فإنْ لَمْ تُصَدِّقُوني فاقرؤوا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا﴾ [النِّساء: ٤٠]، «فَيَشْفَعُ النبِيُّونَ والملائِكَةُ والمُؤمنونَ فيقولُ الجَبَّارُ: بَقِيَتْ شَفاعَتي فَيَقْبِضُ قَبْضَةً منَ النارِ فيُخْرِجُ أقوامًا قد امتُحِشُوا[٣] فيُلْقَوْنَ في نَهرٍ بأفْواهِ الجَنَّةِ يقالُ لهُ ماءُ الحَياةِ فَيَنْبِتون في حافَتَيْهِ كما تَنْبُتُ الحبَّةُ في حَمِيلِ السَّيلِ[٤] قد رأيتُموها إلى جانِبِ الصَّخْرَةِ إلى جانِبِ الشَّجَرَةِ فما كانَ إلى الشمسِ منها كانَ أخضَرَ وما كانَ منها إلى الظِّلِّ كانَ أبيَضَ فَيَخْرُجُونَ كَأَنَّهُمُ اللُّؤلُؤُ فيُجْعَلُ في رِقَابِهِمُ الخَواتيمُ، فَيَدْخُلُونَ الجَنَّةَ فيقولُ أهلُ الجَنَّةِ: هؤلاءِ عتقاءُ الرحمٰن، أَدْخَلَهُمُ الجَنَّةَ بِغيرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ ولا خيرٍ قَدَّمُوهُ فيقالُ لهم: لَكُمْ ما رَأَيتم وَمِثْلُهُ مَعَهُ» متفق عليه[٥].

روايةٌ أُخرى لحديثِ الصِّراطِ

٦١ ـ عن أبي هريرَةَ رضي اللَّهُ عنه قال: قال أُناسٌ يا رسولَ اللَّهِ، هل نَرى رَبَّنا يومَ القيامة؟ قال: «هَلْ تُضارُونَ فِي الشمسِ ليسَ دونها سَحابٌ؟»

= فيخلص وقسم يكدس ويسقط في جهنم ومكدوس في النار أي مدفوع.
(١) أي العُصاة الذين سقطوا في النار. (٢) وفي رواية: ويحجّون.
(٣) امتحشوا: أي احترقوا.
(٤) حميل السيل: هو ما يجيء به السيل من طين وغيره.
(٥) الفتح ١٧/١٩٨ ومسلم ١٦٧.

قالوا: لا يا رسولَ اللَّهِ. قال: «هل تُضارُونَ في القَمَرِ ليلَةَ البَدْرِ ليسَ دونَهُ سحابٌ؟» قالوا: لا يا رسولَ اللَّهِ قالَ: «فإنَّكُم ترونَهُ يومَ القيامَةِ كذلكَ، يَجْمَعُ اللَّهُ الناسَ فيقولُ: من كانَ يعبُدُ شيئًا فَلْيَتْبَعْهُ، فَيَتبَعُ من كان يعبُدُ الشمسَ وَيتبعُ من كان يعبُدُ القَمَرَ ويتبعُ مَن كان يعبُدُ الطواغيتَ(١) وتبقي هذه الأُمَّةُ فيها مُنافِقوها فيأتيهمُ اللَّهُ في غَيْرِ الصُّورَةِ التي يَعرِفُونَ فيقولُ: أَنا رَبُّكُمْ فيقولونَ: نعوذُ باللَّهِ مِنْكَ، هذا مكانُنَا حتى يأْتِينا رَبُّنَا فإذا أتانا رَبُّنا عَرَفْنَاهُ. فَيأْتِيهِمُ اللَّهُ في الصُّورَةِ التي يَعْرِفُونَ فيقولُ: أَنا رَبُّكُمْ فيقولونَ: أَنْتَ رَبُّنَا فَيَتْبَعُونَهُ، وَيُضْرَبُ(٢) جِسْرُ جهَنَّمَ، قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: فأكونُ أَوَّلَ مَن يُجِيْزُ ودعاءُ الرُّسُلِ يَومَئِذٍ اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ وبهِ كَلاليبُ مِثلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ(٣)، أما رَأَيْتُم شوكَ السَّعْدانِ؟» قالوا: بَلى يا رسولَ اللَّهِ قال: «فإنها مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ غَيْرَ أَنَّها لا يَعْلَمُ قَدْرَ عِظَمِهَا إلَّا اللَّهُ فَتَخْطَفُ الناسَ بأَعمالِهِمْ، مِنهُمُ المُوبَقُ(٤) بِعَمَلِهِ ومِنهُم المُخَرْدَلُ(٥) ثم يَنْجو، حتى إذا فَرَغَ اللَّهُ من القَضاءِ بينَ عِبادِهِ وأَرادَ أن يُخرِجَ مِنَ النَّارِ من أَرادَ أن يُخرِجَ ممن كانَ يَشْهَدُ أَنْ لا إلٰهَ إلَّا اللَّهُ أَمَرَ الملائِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوهم فَيَعْرِفونَهم بِعلامةِ آثارِ السجودِ وحَرَّمَ اللَّهُ على النارِ أَنْ تأْكُلَ من ابن آدَمَ أَثَرَ السجودِ فَيُخْرِجُونَهُمْ قد امْتُحِشُوا فيُصَبُّ عليهِم ماءٌ يقالُ لَهُ ماءُ الحياةِ فَيَنْبُتُونَ نباتَ الحِبَّةِ في حَمِيْلِ السَّيْلِ وَيَبْقَى رَجُلٌ مُقْبِلٌ بِوَجْهِهِ على النار فيقول: يا رَبِّ قَدْ قَشَبَنِي رِيحُها(٦) وَأَحْرَقَنِي ذَكَاؤُها(٧) فاصْرِفْ وجهي عَن النَّار، فلا يزالُ يَدعو اللَّهَ فيقولُ: لَعَلَّكَ إِنْ أَعطيتُكَ أن تسأَلَني غَيْرَهُ فيقولُ: لا وعِزَّتِكَ لا أَسأَلُكَ غَيْرَهُ فَيُصْرَفُ وجهُهُ عن النارِ ثم يقولُ بعدَ ذلك: يا رَبِّ قَرِّبْنِي إلى بابِ الجنَّةِ فَيقولُ: أَليسَ قد زَعَمْتَ أَنْ لا تَسْأَلَني غيرَهُ؟ وَيْلَكَ يا ابنَ آدَمَ ما أَغدرَكَ،

(١) الطواغيت: جمع طاغوت وهو كل ما عبد من دون الله تعالى.
(٢) أي يمد الصراط على جهنم.
(٣) السعدان: نبت مستدير يكون بحجم الأظفار وله شوك معقف من كل الجوانب.
(٤) الموبق: أي المُهلَك.
(٥) المخردل: أي المقطع بالكلاليب.
(٦) قشبني: أي سمني وآذاني وأهلكني.
(٧) ذكاؤها: أي لهبها وشدة وهجها.

فلا يزالُ يدعو، فيقولُ: لَعَلِّي إنْ أعطيتُكَ ذلكَ تَسألُني غيرَهُ فيقولُ: لا وعِزَّتِكَ لا أسألُكَ غيرَهُ فَيُعْطِي اللَّهَ ما شاءَ من عهدٍ وميثاقٍ أَنْ لا يسأَلَهُ غيرَهُ فيُقَرِّبُهُ إلى بابِ الجنَّةِ فإذا رَأى ما فيها سَكَتَ ما شاءَ اللَّهُ أن يَسْكُتَ ثم قالَ: رَبِّ أَدْخِلْنِي الجنَّةَ، ثُمَّ يقولُ: أَوَلَيْسَ قد زَعَمْتَ أَنْ لا تَسأَلَنِي غَيْرَهُ؟ ويلَكَ يا ابنَ آدَمَ ما أَغْدَرَكَ فيقولُ: يا رَبِّ لا تجعَلْني أَشْقَي خَلْقِكَ، فَلا يَزالُ يَدعو حتى يَضْحكَ، فإذا ضَحِكَ مِنْهُ أَذِنَ لهُ بالدُّخولِ فيها، فإذا دَخَلَ فيها قيلَ: تَمَنَّ من كذا، فَيَتَمَنَّى، ثم يقالُ لهُ: تَمَنَّ من كذا، فَيَتَمَنَّى حتى تَنْقَطِعَ بهِ الأمانِيُّ، فيقولُ: هذا لَكَ ومثلُهُ معهُ» قال أبو هريرةَ: وذلك الرجلُ آخِرُ أهلِ الجنَّةِ دُخولًا. قال عَطاءُ: وأبو سعيدٍ جالسٌ مع أبي هريرةَ لا يُغَيِّرُ عليه شيئًا من حديثِهِ حتى انتهى إلى قولِهِ: «هذا لَكَ ومثلُهُ مَعَهُ» قال أبو سعيدٍ: سمعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ: هذا لَكَ وَعَشرةُ أمثالِهِ؟ قالَ أبو هريرةَ: حَفِظْتُ «مِثْلُهُ مَعَه» متفق عليه(١).

شفاعةُ النبيِّ ﷺ في إخراجِ المؤمنين من النارِ

فإذا فرغ اللَّهُ جلَّ ذكرهُ من القضاءِ بين العبادِ وعَرفَ كلٌّ سبيلَه، أَذِنَ سبحانَهُ بالشفاعةِ، فشفع الأنبياءُ والملائكةُ والمؤمنون فيمن كانَ في قلبِهِ مثقالُ ذرّةٍ من إيمانٍ وشفع الملائكةُ فيمن احترقَ من أهلِ الذنوب والمعاصي حتى إذا شفع هؤلاء قال الرحمنُ: بقيت شفاعتي، فيقبض قبضة من النار فيخرج أقوامًا قد امتحشوا فيلقون في نهر بأفواه الجنة يقال له ماء الحياة فينبتون في حافتيه.

٦٢ ـ عن مَعْبدِ بن هلالٍ العنزي عن أنسِ بن مالكٍ رَضي اللَّهُ عنه قالَ: حدّثنا محمدٌ ﷺ قالَ: «إذَا كانَ يومُ القيامةِ ماجَ الناسُ بعضُهم إلى بعضٍ فيأتونَ

---

(١) الفتح ١٤/ ٢٤١ ومسلم ١٦٣.

آدَمَ فيقولونَ لهُ: اشْفَعْ لِذُرِّيَتِكَ فيقولُ: لستُ لَها» وساقَ الحديثَ حتى قالَ: «فأُوتى فأَقولُ: أَنا لَهَا فَأَنْطَلِقُ فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فيُؤْذَنُ لِي فَأَقُومُ بينَ يديهِ فَأَحْمَدُهُ بمَحَامِدَ لا أَقدِرُ عليها الآنَ يُلْهِمُنِيْها اللّهُ ثُمَّ أَخِرُّ لهُ ساجِدًا فيقالُ لِي: يا محمدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ وقُلْ يُسْمَعْ لَكَ وَسَلْ تُعْطَهْ واشْفَعْ تُشَفَّعْ فأقولُ: يا رَبِّ أُمَّتي أُمَّتي فيقالُ: انْطَلِقْ فمن كانَ في قلبِهِ مثقالُ حَبَّةٍ من بَرَّةٍ أو شعيرةٍ من إيمانٍ فأَخْرِجْهُ مِنْها، فأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ، ثم أَرْجِعُ إلى رَبِّي فأَحمَدُهُ بتِلكَ المحامِدِ ثُمَّ أَخِرُّ لهُ ساجِدًا فيقالُ لِي: يا محمدُ ارْفَعْ رأْسَكَ وقُل يُسْمَعْ لَكَ وسَلْ تُعْطَهْ واشْفَعْ تُشَفَّعْ فأَقولُ: أُمَّتِي أُمَّتِي فيقالُ لي: انطَلِقْ فمن كانَ في قلبِهِ مثقالُ حَبَّةٍ من خَرْدَلٍ من إيمانٍ فأخرِجْهُ منها، فأَنطَلِقُ فأَفعَلُ ثم أعودُ إلى رَبِّي فأَحمَدُهُ بتِلْكَ المحامِدِ ثم أَخِرُّ لهُ ساجِدًا فيقالُ لِي: يا محمدُ ارْفَعْ رأْسَكَ وقل يُسْمَعْ لَكَ وسَلْ تُعْطَهْ واشْفَعْ تُشَفَّعْ فأَقولُ: يا رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي فيقالُ لِي: انْطَلِقْ فمن كانَ في قَلبِهِ أَدْنَى أَدْنَى أَدْنَى من مِثقالِ حَبَّةٍ من خَرْدَلٍ من إيمانٍ فأَخْرِجْهُ من النارِ، فأَنْطَلِقُ فأَفْعَلُ».

هذا حديثُ أنسٍ الذي أَنبَأَنا بِهِ، فخرَجنا من عندِهِ فلما كنا بظَهْرِ الجَبّانِ[1] قُلْنَا: لو مِلنا إلى الحَسَنِ[2] فسلَّمنا عليه، وهُو مُسْتَخْفٍ في دارِ أبي خليفَةَ، قالَ: فَدَخَلْنَا عليهِ فسلَّمنا عليهِ فقُلنا: يا أبا سعيدٍ جئنا من عندِ أَخيكَ أَبِي حَمزَةَ فلم نَسمَعْ مِثلَ حديثٍ حدَّثَناهُ في الشفاعةِ قالَ: هِيْهِ[3]، فَحَدَّثْنَاهُ الحديثَ فقالَ: هِيهِ، قُلْنَا ما زادَنا، قالَ: قَدْ حَدَّثَنا بِهِ منذُ عِشرينَ سنةً وهو يَومئِذٍ جَمِيْعٌ[4] ولقد تَرَكَ شيئًا ما أَدْرِي أَنَسِيَ الشيخُ أَو كَرِهَ أَنْ يُحَدِّثَكُمْ فتَتَّكِلُوا قلنا له: حدِّثنا، فضَحِكَ وقالَ: خُلِقَ الإنسانُ من عجلٍ ما ذكرتُ لكُمْ هذا إلَّا وأَنا أُريدُ أَنْ أُحدِّثَكُمُوهُ: «ثم أَرْجِعُ إلى رَبِّي في الرَّابِعَةِ فأَحمَدُهُ بتِلْكَ

(١) الجبان والجبانة: هما الصحراء ويسمى بهما المقابر لأنها تكون في الصحراء.
(٢) هو الحسن البصري رحمه الله.
(٣) هيه: لفظة تقال عند الاستزادة من الحديث. (٤) جميع: أي مجتمع القوة والحفظ.

المحامِدِ ثم أَخِرُّ لَهُ ساجِدًا فيقالُ لِيَ: يا محمدُ ارْفَعْ رأْسَكَ، وقُلْ يُسْمَعْ لَكَ وسَلْ تُعْطَ واشْفَعْ تُشَفَّعْ فأقولُ: يا رَبِّ ائْذَنْ لِي فِيمَنْ قالَ: لا إِلٰهَ إِلَّا اللَّهُ قالَ: ليسَ ذاكَ لَكَ (أَوْ قالَ: لَيْسَ ذاكَ إِلَيْكَ) ولكِنْ وعزَّتِي وكِبْرِيَائِي وَعَظَمَتِي وجِبْرِيَائِي[١] لأُخْرِجَنَّ منها من قالَ: لا إِلٰهَ إِلَّا اللَّهُ» متفق عليه[٢].

شفاعةُ النبي ﷺ في أهلِ الكبائرِ من أُمَّتِهِ

٦٣ ـ عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عنه قالَ: قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «لِكُلِّ نبيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ وإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شفاعةً لأُمَّتِي يومَ القيامةِ فَهِيَ نائِلَةٌ إِنْ شاءَ اللَّهُ مَن ماتَ من أُمَّتِي لا يُشْرِكُ باللَّهِ شَيْئًا» متفق عليه[٣].

أسعدُ الناسِ بشفاعةِ النبيِّ ﷺ

٦٤ ـ عن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عنهُ قالَ: قلتُ يا رسولَ اللَّهِ، مَنْ أَسْعَدُ الناسِ بِشَفاعَتِكَ يومَ القيامةِ؟ فقالَ: «لقد ظَنَنْتُ يا أَبا هُرَيرَةَ أَنْ لا يَسْأَلَنِي عن هذا الحديثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ لِمَا رأَيْتُ من حِرْصِكَ على الحديثِ، أَسْعَدُ الناسِ بِشَفاعَتِي يومَ القيامةِ من قالَ: لا إِلٰهَ إِلَّا اللَّهُ، خالِصًا من قِبَلِ نَفْسِهِ[٤]» رواه البخاري[٥].

قال الحافظُ ابنُ حجرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: المرادُ بهذِهِ الشفاعةِ المسؤول عنها هنا بعضُ أنواعِ الشفاعةِ وهي التي يقولُ ﷺ: «أُمتي أُمتي» فيقال له: أخرِجْ مِنَ النَّارِ مَنْ في قلبِه وزنُ كذا من الإيمان، فأسعدُ الناسِ بهذه الشفاعةِ من يكونُ إيمانُهُ أكملَ مِمَّنْ دونِه، وأما الشفاعةُ العظمى في الإراحة من كَرْبِ الموقفِ فأسْعَدُ الناسِ بها من يَسْبِقُ إلى الجنَّةِ وهم الذين يدخلونها بغيرِ حسابٍ، ثم الذين

---

(١) أي عظمتي وسلطاني وقهري.
(٢) الفتح ١٧/ ٢٥٢ ومسلم ١٨٢.
(٣) الفتح ١٧/ ٢٢٨ ومسلم ١٨٩.
(٤) أي قال ذلك باختياره.
(٥) الفتح ١٤/ ٢٣٨.

يلونهم وهو من يدخلها بغيرِ عذابٍ بعد أن يُحاسَبَ ويستحقَ العذابَ، ثم من يُصيبُه لفحٌ من النارِ ولا يسقطُ(١).

إخراجُ العصاةِ الموحدين من النار بعد موتهم فيها رحمةً من عند الله تعالى

٦٥ - عن أبي سعيدٍ الخدريِّ رضي اللَّهُ عنه قالَ: قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «أمَّا أَهْلُ النارِ الذينَ هُمْ أَهْلُهَا فإِنَّهُم لا يَموتُونَ فيها ولا يَحْيَوْنَ، ولكِنْ ناسٌ أصابَتْهُمُ النارُ بِذُنُوبِهِمْ - أَوْ قالَ بِخَطَايَاهُمْ - فأَماتَهُمْ إماتَةً حتى إذا كانوا فَحْمًا أُذِنَ بالشَّفاعَةِ فَجِيءَ بِهِمْ ضَبَائِرَ ضَبَائِرَ(٢) فَبُثّوا عَلَى أَنْهارِ الجنةِ ثُمَّ قِيْلَ: يا أَهْلَ الجَنَّةِ أَفيضُوا عليهم فينبُتُونَ نباتَ الحِبَّةِ تكونُ في حَمِيْلِ السَّيْلِ»(٣) فقالَ رَجُلٌ من القَوْمِ: كأَنَّ رَسولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ كانَ بالبادِيَةِ. رواه مسلم(٤).

قال النووي رحمه الله: وأما معنى الحديثِ فالظاهرُ واللَّهُ أعلمُ أن الكفارَ الذين هم أهلُ النارِ والمستحقونَ للخلود لا يموتون فيها ولا يحيون كما قال تعالى: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾ [فاطِر: ٣٦] وكما قال تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ [الأعلى: ١٣] وهذا جارٍ على مذهبِ أهلِ الحقِّ أنَّ نعيمَ أهلِ الجنةِ دائمٌ وأن عذابَ أهلِ الخلودِ في النارِ دائمٌ، وأما قوله ﷺ: «ولكنْ ناسٌ أَصابَتْهُمُ النارُ» إلى آخره فمعناه أن المذنبين من المؤمنين يُميتُهم اللَّهُ تعالى إماتةً بعد أن يُعذَّبُوا المدةَ التي أرادَها اللَّهُ تعالى، وهذه الإماتةُ إماتةٌ حقيقيةٌ يَذْهَبُ معها الإحساسُ ويكون عذابُهم على قدر ذنوبهم ثم يميتهم ثم يكونون محبوسين في النارِ من غير إحساس المدةَ التي قدرها الله تعالى ثم يخرجون من النار موتى قد صاروا فحمًا فيُحملون ضبائر كما تُحْمَلُ الأمتع

---

(١) الفتح ١٤/ ٢٣٨.
(٢) ضبائر ضبائر: أي جماعات متفرقة.
(٣) حميل السيل: هو ما يجيء به السيل من طينٍ وغيره ونبات الحب فيه سريع.
(٤) مسلم ١٧٢.

ويلقون على أنهارِ الجنة فيُصب عليهم ماءُ الحياةِ فيحيون وينبتون ويصيرون إلى منازِلهم، وتكمل أحوالُهم فهذا هو الظاهرُ من لفظِ الحديثِ ومعناه واللَّهُ أعلمُ[١].

أصحابُ الأعرافِ

قالَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَـٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ۖ قَالُوا۟ نَعَمْ ۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا[٢] وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ كَـٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ ۚ[٣] وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ[٤] رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَىٰهُمْ ۚ[٥] وَنَادَوْا۟ أَصْحَـٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ ۚ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَـٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَـٰبِ ٱلنَّارِ قَالُوا۟ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَنَادَىٰٓ أَصْحَـٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمْ قَالُوا۟ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ ۚ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [الأعراف: ٤٤ - ٤٩].

٦٦ - وعن حذيفةَ رَضِيَ اللَّهُ عنه قالَ: أَصْحَابُ الأَعْرَافِ قَوْمٌ تَجاوَزَتْ بِهِمْ حَسَنَاتُهُمُ النارَ وَقَصُرَتْ بِهِمْ سَيِّئَاتُهُمْ عن الجنةِ فإذا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحابِ النار قَالوا: رَبَّنا لا تَجْعَلْنَا مَعَ القومِ الظالِمِيْن، فَبَيْنَما هُمْ كذلكَ إذ اَطلعَ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ قالَ: قُومُوا ادْخُلوا الجنَّة فإنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ. رواه الحاكم في المستدرك وقال: هذا الحديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي[٦].

---

(١) شرح مسلم ٣/ ٣٨.

(٢) أي يبغون أن تكون السبيل إلى الله تعالى معوجة غير مستقيمة حتى لا يسلكها أحدٌ وذلك بكثرة ما يرمون به هذه السبيل بالشبهات والتهم وغيره.

(٣) حجابٌ: أي حاجز.

(٤) الأعراف: قيل إنه سور وقيل إنه تل بين الجنة والنار وقيل غير ذلك والله أعلم بالصواب.

(٥) أي يعرفون أهل الجنة ببياض الوجوه وأهل النار بسواد الوجوه.

(٦) المستدرك ٢/ ٣٢٠.

قال الحافظُ ابنُ كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: لما ذَكَرَ اللَّهُ تعالى مخاطبةَ أهلِ الجنةِ معَ أهلِ النار نَبَّهَ أَنَّ بيْنَ الجنةِ والنارِ حجابًا وهو الحاجزُ المانعُ من وصولِ أهلِ النارِ إلى الجنة. قال ابن جرير الطبري رَحِمَه اللَّهُ: وهو السورُ الذي قالَ اللَّهُ تعالى فيه: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾ [الحديد: ١٣] وهو الأعرافُ الذي قال اللَّهُ تعالى فيه: ﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ﴾ [الأعراف: ٤٦] قال: والأعرافُ جَمْعُ عُرفٍ وكلُّ مرتفع من الأرضِ عند العرب يسمى عُرفًا وإنما قيل لعُرْفِ الديكِ عُرْفًا لارتفاعه قال ابنُ كثير: واخْتَلَفتْ عباراتُ المفسرينَ في أصحابِ الأعرافِ مَنْ هُمْ؟ وكُلُّها قريبةٌ ترجع إلى معنى واحدٍ وهو أنهم قومٌ استوت حسناتهم وسيئاتهم، نص عليه حذيفةُ وابنُ عباسٍ وابنُ مسعودٍ وغيرُ واحدٍ من السَّلَفِ والخَلَفِ رَحِمَهُمُ اللَّهُ(١).

القنطرةُ بينَ الصِّراطِ والجنةِ

فإذا جازَ المؤمنونَ على الصِّراطِ ونَجَوْا من النار وشفعوا فيمن أَذنَ اللَّهُ تعالى من أهلِ النارِ دخلوا الجنةَ إلَا مَنْ كانَتْ لهُ مظلمةٌ عِنْدَ أخيهِ فإنهم يُحْبَسُونَ على قنطرةٍ بينَ الجنَّةِ والنارِ لِيَقْتَصَّ بعضُهم من بعضٍ ثم يُؤذَنُ لهم في دخولِ الجنةِ.

٦٧ ـ عن أبي سعيدٍ الخدريِّ رضي اللَّهُ عنهُ قالَ: قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «يَخْلُصُ المؤمِنونَ من النَّارِ فيُحْبَسُونَ على قَنْطَرةٍ بينَ الجنَّةِ والنَّارِ فيُقْتَصُّ لِبَعْضِهم مِنْ بَعْضٍ مَظالِمُ كانَتْ بَيْنَهُم في الدُّنيا حتى إذا هُذِّبُوا ونُقُّوا أُذِنَ لَهُم في دخولِ الجنةِ، فوالذي نَفْسُ محمدٍ بِيَدِهِ لأَحَدُهُمْ أَهْدَى بمَنْزِلِهِ في الجنةِ منهُ بِمَنْزِلِهِ كانَ في الدُّنيا» رواه البخاري(٢).

قال الحافظُ ابنُ حجرٍ: ولعلَّ أصحابَ الأعرافِ منهم، يعني رَحِمَهُ اللَّهُ الذين كانت عندهم مظالمُ كثيرةٌ لإخوانهم بحيثُ تَستَوِي حسناتُهم وسيئاتُهم

---

(١) تفسير ابن كثير ٣/ ١٧١.
(٢) الفتح ١٤/ ١٩٠.

فيطولُ حَبْسُهم ويَرَوْنَ أصحابَ الصِّراطِ يسقُطون في النارِ فيُشْفقون منها ويرون أصحابَ الجنةِ في الجنةِ فينادونهم ﴿أَن سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۚ لَمۡ يَدۡخُلُوهَا وَهُمۡ يَطۡمَعُونَ﴾ [الأعرَاف: ٤٦] واللَّهُ أعلمُ.

النارُ يدخُلها الجبارون والجنةُ يدخُلها الضعفاءُ

٦٨ ـ عن أبي هُريرةَ رضي اللَّهُ عنه قال: قالَ النبيُّ ﷺ: «تَحاجَّتِ الجنَّةُ والنارُ فقالت النارُ: أُوثِرْتُ بِالمُتَكبِّرينَ والمُتجبِّرينَ وقالتِ الجنةُ: ما لي لا يدخلُنِي إلَّا ضُعَفاءُ الناس وسَقَطُهُمْ؟[1] قالَ اللَّهُ تبارك وتعالَى للجنةِ: أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ من أَشاءُ من عِبادي وقالَ للنار: إِنَّما أَنْتِ عَذَابٌ أُعَذِّبُ بكِ مَن أَشاءُ من عِبادِي، ولِكُلِّ واحدةٍ منهُمَا مِلؤُهَا، فأَمَّا النارُ فلا تَمْتَلِىءُ حتَّى يَضَعَ رِجْلَهُ فَتَقولُ: قَطْ قَطْ[2] فهُنالِكَ تَمْتَلِىءُ ويُزْوَى[3] بَعْضُها إلى بَعْضٍ ولا يَظْلِمُ اللَّهُ عزَّ وجلَّ من خَلْقِهِ أَحَدًا، وأَمَّا الجنَّةُ فإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وجلَّ يُنْشِىءُ لها خَلْقًا» متفق عليه[4].

(١) أي المحتقرون بينهم الساقطون من أعينهم. (٢) أي حسبي يكفيني هذا.
(٣) أي بضم بعضها إلى بعض فتجتمع على مَن فيها.
(٤) الفتح ٢١٩/١٠ ومسلم ٢١٨٧.

صِفَة النار وَأهلهَا

هذه والله دارُ الذلِّ والهَوانِ والعذابِ والخُذْلانِ، دارُ الشهيقِ والزَّفَراتِ والأنين والعبرات دارٌ أهْلُها أهلُ البؤسِ والشقاءِ والندامةِ والبكاءِ، الأغْلالُ تجمَعُ بينَ أيديهم وأعناقِهم، والنارُ تَضْطَرِمُ من تحتهم ومِنْ فوقِهم، شَرابُهم من حميمٍ يُصهرُ به ما في بطونِهم والجلود ومأكلُهم من شَجَرِ الزقومِ كالمُهلِ يغلي في البُطونِ كَغَلْيِ الحَميمِ، يَدْعونَ على أنفُسِهم بالموت فلا يُجابون ويسألونَ ربهم الخروجَ منها فيُقالُ لهم اخسأوا فيها ولا تُكلمون، كيف لو أَبصرتهم وهم يُسحبون فيها على وجوههم وهم لا يُبصرون؟ كيف لو سَمِعْتَ صُراخَهم وَعويلَهم وهم لا يَسمعون؟

تلاعن المشركينَ في النار

ثم يُلقى المشركونَ في النار أُمةً بعد أُمة جِنِّهم وإنسَهم كلما دخلت أُمةٌ لعنت أُختَها حتى إذا اجتمع فيها أهلُها جميعًا اشتكت آخرُ أُمةٍ إلى الله تعالى أولَ أُمةٍ لأنهم هم الذينَ أضلُّوهم عن سواءِ السبيلِ، وقالتْ أولُ أُمةٍ لآخرِ أُمةٍ: لقد ضللتم كما ضللنا على الرغمِ منَ الحججِ الكثيرةِ التي قامت علينا وعليكم في الدنيا على أَلسِنَةِ الرسلِ ولو هدانا الله لهديناكُم، سواء علينا وعليكم أَصبرْنا أم جَزَعْنا ما لنا من خلاص.

قـالَ الـلَّهُ جَـلَّ ذِكْـرُهُ: ﴿قَالَ ٱدْخُلُواْ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ

لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الأعراف: ٣٨، ٣٩].

وقالَ اللَّهُ تعالى: ﴿وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَالُوا۟ فَٱدْعُوا۟ وَمَا دُعَٰٓؤُا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾﴾ [غافر: ٤٧ - ٥٠].

وقالَ اللَّهُ عَزَّ وجلَّ: ﴿وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ قَالُوا۟ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ[1]﴾ [إبراهيم: ٢١].

وقالَ اللَّهُ جَلَّ ثَناؤهُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾﴾ [الأحزاب: ٦٤ - ٦٨].

وقالَ اللَّهُ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿وَبُرِّزَتِ[2] ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُبْكِبُوا۟[3] فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [الشعراء: ٩١ - ١٠٢].

---

(١) أي ما لنا من خلاص. (٢) أي أُظهرت وكشف عنها.
(٣) أي كبوا فيها أي ألقي بعضهم على بعض.

تَبرُّؤُ الشيطانِ من أتباعِهِ في النارِ

فلما قَضَى اللَّهُ بينَ عباده على هذا النحو وأُلقِيَ الذينَ كفروا في جهنم ناداهم الشيطان فتبرأ من أن يكونَ شريكًا للَّهِ كما جعلوه في الحياةِ الدنيا ما يأمرهم بأَمر إلا كانوا مذعنين حتى عَصَوا اللَّهَ ورسلَه مع قيامِ حُججِ الأنبياءِ والمُرْسَلينَ عليهم واتَّبعُوا الشيطان مع انعدام الدليل والحجة.

قالَ اللَّهُ جلَّ ثناؤُهُ: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ[1] وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٢٢].

يَقولُ إبليسُ: ما أَستطيعُ اليومَ أن أَنفعَكُمْ فأُخلِّصَكُمْ من هذا العذابِ الأليمِ ولا تقدرونَ أنتم على شيءٍ من ذلكَ فتخلصوني مما أنا فيه منَ العذابِ العظيم. إنَّ اللَّهَ عزَّ وَجلَّ وَعدَكُمْ وَعْدًا صادقًا مفعولًا فعصيتم وكَذَّبْتُمْ، وَوَعَدْتُكُمْ وعدًا كاذبًا فَأَجبْتُمْ وصدَّقْتُمْ فلا تلوموني ولوموا أنفُسَكُمْ إنَّ الظالمين لَهُمْ عَذابٌ أليمٌ.

حسرةُ أهلِها

قالَ اللَّهُ عزَّ وَجلَّ: ﴿وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [سَبأ: ٣٣] وقالَ اللَّهُ جلَّ ثَناؤُهُ: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾﴾ [الفرقان: ٢٧ - ٢٩].

---

(١) مُصْرِخكُمْ: أي نافعكم ومنقذكم ومخلصكم.

٦٩ ـ وعن أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ قالَ: قال النبيُّ ﷺ: «لا يَدْخُلُ أَحَدٌ الجنةَ إلا أُرِيَ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ لَو أَساءَ لِيَزْداد شُكْرًا ولا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ إِلَّا أُرِيَ مَقْعَدَهُ مِنَ الجنَّةِ لَوْ أَحْسَنَ لِيَكُونَ عَلَيْهِ حَسْرَةً» رواه البخاري(١).

٧٠ ـ وعن عبد الله بن عمر رضي اللَّهُ عنهما قال: قال رسول اللَّهِ ﷺ: «إذا صارَ أَهْلُ الجنَّة إلى الجنَّةِ وأَهْلُ النارِ إلى النَّارِ جِيْءَ بالمَوتِ حتى يُجْعَلَ بينَ الجنَّةِ والنَّارِ ثُم يُذْبَحُ ثم يُنادي مُنادٍ: يَا أَهْلَ الجنَّةِ لا مَوْتَ، يا أَهْلَ النَّارِ لا موتَ فَيَزْدَادُ أَهْلُ الجنَّةِ فَرَحًا إلى فَرَحِهِمْ وَيَزْدادُ أَهْلُ النَّارِ حُزنًا إِلى حُزْنِهِمْ» متفق عليه(٢) وزادَ مسلم عن أبي سعيدٍ رَضي اللَّهُ عنه قالَ: ثُمَّ قَرَأَ رَسولُ اللَّـهِ ﷺ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [مريم: ٣٩] وأشارَ بِيَدِهِ إلى الدنيا(٣).

دوامُ عذابِها

قالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَـٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ(٤) ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَـٰهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوْا۟ يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ(٥) عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّـٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَـٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَـٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [الزخرف: ٧٤ - ٧٨].

وقالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَـٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ(٦) وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾﴾ [فاطر: ٣٦، ٣٧].

---

(١) الفتح ١٤/٢٣٧.
(٢) الفتح ١٤/٢٠٩ ومسلم ٢١٨٩.
(٣) مسلم ٢١٨٨.
(٤) لا يفتر: أي لا يخفف، مبلسون: أي آيسون من كل خير.
(٥) ليقض علينا: أي يقبض أرواحنا.
(٦) أي أو ما عشتم في الدنيا أعمارًا لو كنتم ممن ينتفع بالحق لانتفعتم به في مدة عمركم.

٧١ ـ وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن أهل النارِ ليبكون حتى لو أجريت السفن في دموعهم لجرت وإنهم ليبكون الدم» يعني مكان الدمع. رواه الحاكم[١] وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي وحسنه الألباني[٢].

أَصفادُها وَقَطِرانُها

قالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ[٣] أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [الرعد: ٥].

وقالَ اللَّهُ جَلَّ ثَناؤُهُ: ﴿وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ[٤] فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ[٥] وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾﴾ [إبراهيم: ٤٩، ٥٠].

شجرةُ الزَّقُّومِ[٦]

وقالَ اللَّهُ تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ[٧] يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ[٨] ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ[٩] إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ[١٠] ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّواْ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ[١١] ﴿٥٠﴾﴾ [الدخان: ٤٣ - ٥٠].

---

(١) المستدرك ٤/٦٠٥.
(٢) صحيح الجامع ٢/١٨٨.
(٣) أي هل إذا متنا يمكن أن نبعث من جديد.
(٤) مقرنين: أي مشدودين بعضهم إلى بعض.
(٥) أي أن ثيابهم من قطران وهو ألصق شيء بالنار.
(٦) شجرة الزقوم: شجرة في جهنم لا أبشع منها ولا أقبح من منظرها مع سوء طعمها وريحها وطبعها.
(٧) المهل: ما ذاب من صفر أو حديد وقيل ضرب من القطران وقيل: هو الزيت الخاثر والله أعلم.
(٨) الحميم: الماء المغلي.
(٩) اعتلوه: أي سوقوه سحبًا ودفعًا في ظهره.
(١٠) سواء الجحيم: أي وسطها.
(١١) به تمترون: أي به تشكون.

وقال اللَّهُ تعالى: ﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ[1] ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَءَاكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا[2] مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا۟ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ[3] ﴿٧٠﴾﴾ [الصافات: ٦٢ - ٧٠].

٧٢ ـ وعن عبد اللَّهِ بن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عنهُما أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قَرأَ هذِهِ الآيةَ: ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عِمران: ١٠٢] قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «لَوْ أَنَّ قَطْرَةً من الزَّقومِ قُطِرتْ في دارِ الدُّنيا لأَفْسَدَتْ على أَهْلِ الدُّنيا مَعَايِشَهُم فكيفَ بمن يكونُ طَعَامَهُ» رواهُ الترمذي[4] وقال: هذا حديث حسن صحيح وصححه الألباني[5].

صديدُها

قالَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ: ﴿وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّن وَرَآئِهِۦ[6] جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ[7] ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ[8] وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾﴾ [إبراهيم: ١٥ - ١٧].

وقالَ اللَّهُ جلَّ ثناؤُهُ: ﴿۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ[9] مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾﴾ [الحج: ١٩ - ٢٢].

(١) وذلك لتكذيبهم بها، قالوا: صاحبكم ينبئكم أن في النار شجرة والنار تأكل الشجرَ.
(٢) شوبًا: أي مزجًا من حميم وقيل: يمزج لهم الحميم بصديد وغساق وهو شراب نتن.
(٣) يهرعون: أي يهرولون. (٤) السنن ١٠/٥٤.
(٥) المشكاة: ٣/١٠٥.
(٦) أي أمامه كقوله تعالى: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ [الكهف: ٧٩].
(٧) الصديد: القيْحُ والدمُ. (٨) يتجرعه: أي يشربه قسرًا.
(٩) المقامع: سياط تعمل من حديد رؤوسها معوجة.

عقوبةُ الذين يأمرون بالمعروف ولا يفعلونه وينهَوْن عن المُنكَرِ ويأتونه

٧٣ ـ عن أُسامَةَ بنِ زَيْدٍ رَضِي اللَّهُ عنهُما قالَ: سمعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ: «يُؤتَى بِالرَّجُلِ يومَ القيامَةِ فيُلْقَى في النارِ فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُ بَطْنِهِ[1] فَيَدُورُ بِها كما يَدُورُ الحِمارُ بالرَّحى فَيَجْتَمِعُ إِليهِ أَهلُ النارِ فيقولونَ: يا فُلَانُ مَا لَكَ؟ أَلَمْ تَكُنْ تَأْمُرُ بالمعرُوفِ وَتَنْهَى عنِ المُنكَرِ؟ فيقولُ: بَلَى قَدْ كنتُ آمُرُ بالمعروفِ ولا آتِيْهِ وأنهَى عن المُنكرِ وآتِيْهِ» متفق عليه[2].

بُعْدُ قَعْرِها

٧٤ ـ عن أبي هريرَةَ رضي اللَّهُ عنهُ قالَ: كُنَّا مَعَ رسولِ اللَّهِ ﷺ إذ سَمِعَ وَجْبَةً فقال النبيُّ ﷺ: «تَدْرُوْنَ ما هذَا؟» قالَ قُلْنَا: اللَّهُ ورسولُهُ أعلمُ قال: «هذا حَجَرٌ رُمِيَ بِهِ فِي النارِ مُنْذُ سبعينَ خَرِيفًا فَهُوَ يَهْوِي في النارِ الآنَ حتَّى انْتَهَى إلى قَعْرِهَا» رواه مسلم[3].

٧٥ ـ وقال عُتْبَةُ بنُ غَزْوَانَ رَضِي اللَّهُ عَنه: ذُكِرَ لَنَا أَنَّ الحَجَرَ يُلْقَى من شَفَةِ جَهَنَّمَ فَيَهوِي فيها سَبعينَ عامًا لا يُدْرِكُ لها قَعْرًا، واللَّهِ لتُملأَنَّ. رواه مسلم[4].

إحاطَةُ النارِ بأهلِها

قالَ اللَّهُ عَزَّ وَجلَّ: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْخَـٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ يَـٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾﴾ [الزمر: ١٥، ١٦].

وقالَ اللَّهُ تَعالَى: ﴿لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [الأنبياء: ٣٩، ٤٠].

---

(١) الأقتاب والأقصاب: أي الأمعاء.
(٢) الفتح ٧/ ١٤٤ ومسلم ٢٢٩١.
(٣) . مسلم ٢١٨٤.
(٤) مسلم ٢٢٧٨.

أهونُ أهلِ النارِ عذابًا

٧٦ ـ عن النعمانِ بن بَشِير رضي اللَّهُ عنهما قالَ: قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «إنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا منْ لَهُ نَعْلَانِ وَشِرَاكانِ[١] من نارٍ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ كَما يَغْلِي المِرْجَلُ[٢] مَا يَرَى أَنَّ أَحَدًا أَشَدُّ مِنْهُ عَذابًا وإِنَّهُ لأَهْوَنُهُمْ عَذابًا» رواه مسلم[٣].

تفاوتُ العذابِ فيها

٧٧ ـ عن سمرةَ بن جُنْدَبٍ رَضي اللَّهُ عنهُما أَنَّ النبيَّ ﷺ قالَ: «مِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النارُ إلى كَعْبَيْهِ، ومِنْهُمْ منْ تَأْخُذُهُ النارُ إلى رُكْبَتَيْهِ، ومنهم من تأْخُذُهُ النارُ إلى حُجْزَتِهِ[٤]، ومنهم من تَأْخُذُهُ النارُ إلى تَرْقُوَتِهِ[٥]» رواه مسلم[٦].

شدةُ حَرِّها

قالَ اللَّهُ عَزَّ وَجلَّ: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾﴾ [المدثر: ٢٦ ـ ٢٨] أي أنها تأكلُ لحومَهم وعروقَهم وعصبَهم وجلودَهم ثم تُبدِّلُ غير ذلك وهم في ذلك لا يموتون ولا يحيون.

وقالَ اللَّهُ تعالَى: ﴿كَلَّآ ۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾ [المعارج: ١٥ ـ ١٨] أي أنها لِشِدَّةِ حرارتها تَبري الجلدَ واللحمَ عن العظم وتنزعهُ ثم يُبدَّل بعد ذلك.

٧٨ ـ وعن أبي هريرةَ رَضي اللَّهُ عنهُ أَنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «نَارُكُمْ جُزْءٌ مِنْ سبعينَ جُزْءًا من نارِ جَهَنَّمَ» قِيلَ: يا رسولَ اللَّهِ إِنْ كَانَتْ لَكافِيَةً. قالَ: «فُضِّلتْ عليهِنَّ بتسعةٍ وسِتِّينَ جُزْءًا كُلُّهُنَّ مِثْلُ حَرِّهَا» متفق عليه[٧].

---

(١) الشراك: سير يكون على وجه النعل.
(٢) المرجل: هو القدر.
(٣) مسلم ١٩٦.
(٤) الحجزة: معقد الإزار.
(٥) الترقوة: هو العظم المشرف من النحر.
(٦) مسلم ٢١٨٥.
(٧) الفتح ٧/ ١٤٣ ومسلم ٢١٨٤.

صفةُ خلقِ الكافرِ فيها

٧٩ ـ عن أبي هُريرَةَ رَضِي اللَّهُ عنه قالَ: قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «ضِرْسُ الكافر ـ أو نابُ الكافِرِ ـ مِثْلُ أُحُدٍ وغِلَظُ جِلْدِهِ مَسِيرَةُ ثَلاثٍ» رواه مسلم(١).

٨٠ ـ وعن أبي هُريرةَ رضي اللَّهُ عنه عنِ النبيِّ ﷺ قالَ: «ما بَيْنَ مَنْكِبَي الكافِرِ في النَّارِ مَسِيرَةُ ثلاثَةِ أَيَّامٍ لِلرَّاكِبِ المُسْرِعِ» متفق عليه(٢).

٨١ ـ وعن أَبي هُرَيْرَةَ رَضِي اللَّهُ عنهُ قالَ: قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «إنَّ غِلَظَ جِلْدِ الكَافِرِ اثْنَانِ وأَرْبَعُونَ ذِرَاعًا وإنَّ ضِرْسَهُ مِثْلُ أُحُدٍ وإنَّ مَجْلِسَهُ مِنْ جَهَنَّمَ كَما بَيْنَ مَكَّةَ والمَدِينَة» رواه الترمذي وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غريب من حديث الأعمش(٣).

وقال الألباني: إسناده صحيح(٤).

النساءُ أكثرُ أهلِ النارِ

٨٢ ـ عن أُسامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِي اللَّهُ عنهُما عن النبيِّ ﷺ قالَ: «قُمْتُ عَلَى بابِ الجنةِ فَكَانَ عامَّةُ مَنْ دَخَلَهَا المساكينَ، وأَصحابُ الجَدِّ(٥) مَحْبوسونَ، غَيْرَ أَنَّ أَصْحَابَ النارِ قَدْ أُمِرَ بِهِمْ إلى النَّارِ وقُمْتُ على بابِ النارِ فإذا عامَّةُ مَنْ دَخَلَها النِّساءُ» متفق عليه(٦).

---

(١) مسلم ٢١٨٩.
(٢) الفتح ١٤/ ٢١٤ ومسلم ٢١٩٠.
(٣) السنن ١٠/ ٤٧.
(٤) المشكاة ٣/ ١٠٣.
(٥) الجد: أي الغنى.
(٦) الفتح ١٤/ ٢٠٩ ومسلم ٢٠٩٦.

صِفَة الجنَّة وَأهلهَا

أما هذه الدارُ فإنها دارُ الذين أنعمَ اللّهُ عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، دارٌ جنانُها تجري من تحتِها الأنهارُ، دارٌ قصورُها لَبِنَةٌ مِنْ ذَهَبٍ ولَبِنَةٌ مِنْ فِضةٍ وملاطها المسكُ الأذْفَرُ وحصباؤُها اللؤلؤُ والياقوتُ وتربتُها الزعفرانُ وخيامُها اللؤلؤ المجوَّف، هي والله نورٌ يتلألأ وريحانةٌ تَهْتَزُّ ونَهْرٌ مُطَّرِدٌ وفاكهةٌ وخضرةٌ وزوجاتٌ حسان، هنا سدرٌ مخضودٌ وطلحٌ منضودٌ وظلٌ ممدودٌ وماءٌ مسكوبٌ، هنا يا عبدَ اللّهِ يأكلون ويتنعمون ولا يمتخطون ولا يبولون بل مسكٌ يَرشَحُ. هنا يضحكون ولا يبكون هنا يقيمون ولا يظعنون هنا يحيون ولا يموتون، هنا وجوهٌ مُسْفِرَةٌ ضاحكةٌ مُسْتَبْشِرةٌ. هنا جمالٌ مبينٌ هنا حورٌ عينٌ، هنا كلُّ نعيمٍ دائمٍ هنا كلُّ شيءٍ باسمٍ. هنا يُرفعُ الحجابُ فينظرون إلى وجهِ العزيزِ الوهابِ، هنا يا عبدَ الله ما لا عينٌ رأَت ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ ولا خطر على قلبِ بشر.

النبيّ ﷺ أولُ الناسِ دخولًا الجنة

قالَ اللّهُ عَزَّ وَجلَّ: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾ [مريم: ٨٥].

وقالَ اللّهُ تَعالَى: ﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ[1] ﴿٧٠﴾﴾ [الزخرف: ٦٨ - ٧٠].

(١) تحبرون: أي تتنعمون وتسعدون.

٨٣ ـ وعن أَنَسِ بْنِ مالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عنه قالَ: قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «آتِي بابَ الجنَّةِ يومَ القيامةِ فأَسْتَفْتِحُ فيقولُ الخازِنُ: مَن أَنْتَ؟ فأقولُ: محمدٌ فيقولُ: بِكَ أُمِرْتُ لا أَفتحُ لأَحَدٍ قَبْلَكَ» رواه مسلم[١].

صفة أول زُمرة يدخلون الجنة وعددهم

٨٤ ـ عن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عنه قالَ: قالَ رسولُ اللَّهُ ﷺ: «إنَّ أوَّلَ زُمْرَةٍ يَدْخُلونَ الجنةَ على صورةِ القمرِ ليلةَ البَدْرِ والذينَ يَلُونَهُم على أَشَدِّ كوكبٍ دُرِّيٍّ[٢] في السماءِ إضاءَةً لا يَبُولونَ ولا يَتَغَوَّطُونَ[٣] ولا يَمْتَخِطُونَ[٤] ولا يَتْفِلُونَ أمشاطُهُمُ الذَّهَبُ وَرَشْحُهُمُ[٥] المِسْكُ وَمَجَامِرُهُمُ[٦] الأَلُوَّةُ[٧] وأَزْوَاجُهُمُ الحورُ العينُ، أَخْلَاقُهُمْ على خُلُقِ رَجُلٍ واحدٍ على صورةِ أبيهم آدَمَ سِتونَ ذِراعًا في السماءِ» متفق عليه[٨].

٨٥ ـ وعن أَبِي حازمٍ عن سهلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عنه أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قالَ: «لَيَدْخُلَنَّ الجنَّةَ من أمتي سَبعونَ ألفًا أو سبعُمائةِ أَلفٍ ـ لا يدري أبو حازم أَيُّهما قالَ ـ مُتَمَاسِكُونَ، آخِذٌ بَعْضُهُمْ بَعْضًا لا يدخُلُ أَوَّلُهُمْ حتى يَدْخُلَ آخِرُهُمْ وُجوهُهُمْ على صورةِ القمرِ ليلةَ البدرِ» متفق عليه[٩].

٨٦ ـ وعن ابنِ عباسٍ رضي اللَّهُ عنهُما قالَ: قالَ النبيُّ ﷺ: «عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ فرأيتُ النبيَّ ومَعَهُ الرُّهَيْطُ[١٠] والنبيَّ ومَعَهُ الرَّجُلُ والرَّجُلَانِ والنبيَّ

---

(١) مسلم ١٨٨.
(٢) دُرِّيٌّ: أي كوكب ثاقب مُضيء عظيم المقدار. (٣) لا يتغوّطون: أي لا يتبرزون.
(٤) لا يمتخطون: المخاط من الأنف كاللعاب من الفم.
(٥) الرشح: أي ندى العرق على الجسد.
(٦) المجامر: جمع مجمر. ومجمر بالكسر هو الذي يوضع فيه النار والبخور وبالضم الذي يتبخّر به وأُعد له الجمر.
(٧) الألوة: هو العود الهندي الذي يُتبخّر به. (٨) الفتح ٧/١٧٥ ومسلم ٢١٧٩.
(٩) الفتح ١٤/٢٠٦ ومسلم ١٩٨.
(١٠) الرُّهيط تصغير الرهط وهي الجماعة دون العشر.

ليسَ مَعَهُ أَحَدٌ، إِذْ رُفِعَ لي سَوَادٌ[١] عظيمٌ فظننتُ أَنهم أُمتي فقيلَ لي: هذا مُوسى ﷺ وقومُهُ ولكن انْظُرْ إلى الأُفُقِ فَنَظَرْتُ فإذا سوادٌ عظيمٌ فقيلَ لي: انْظُرْ إِلَى الأُفُقِ الآخَرِ فإذا سوادٌ عظيمٌ فقيلَ لي: هَذِهِ أُمَّتُكَ وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلفًا يَدْخُلُونَ الجنَّةَ بغيرِ حسابٍ ولا عذابٍ» ثم نَهَضَ فدَخَلَ مَنزِلَهُ فخاضَ[٢] الناسُ في أولئكَ الذينَ يَدْخُلُونَ الجنةَ بغيرِ حسابٍ ولا عذابٍ فقال بعضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمُ الذينَ صَحِبُوا رسولَ اللَّهِ ﷺ وقالَ بعضُهُم: فَلَعَلَّهُمُ الذينَ وُلِدُوا في الإسلامِ ولم يُشْرِكُوا باللَّهِ وذَكَرُوا أَشياءَ، فَخَرَجَ عليهِمْ رسولُ اللَّهِ ﷺ فقالَ: «ما الذي تَخُوضُونَ فيهِ؟» فأَخْبَرُوهُ فقالَ: «هُمُ الذينَ لا يَرْقُونَ[٣] ولا يَسْتَرْقُونَ[٤] ولا يَتَطَيَّرُونَ[٥] وعلى ربِّهم يَتَوَكَّلُونَ» فقامَ عُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ فقالَ: ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَني مِنْهُمْ فقالَ: «أَنْتَ مِنهم» ثم قامَ رجُلٌ آخَرُ فقال: ادْعُ اللَّـهَ أَنْ يَجْعَلَني مِنْهُمْ فقالَ: «سَبَقَكَ بِها عُكَّاشَةُ»[٦] متفق عليه[٧].

ذكرُ ما لأدنىٰ أهلِ الجنةِ منزلةً من الكرامةِ وما لأعلاهم

٨٧ ـ عن المغيرةَ بن شُعْبَةَ يرفَعُهُ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ قالَ: «سَأَلَ مُوسَىٰ رَبَّهُ: ما أَدْنَىٰ أَهْلِ الجنَّةِ منزِلَةً؟ قالَ: هُوَ رَجُلٌ يَجِيءُ بعدَما أُدْخِلَ

---

(١) السواد: أي الجمع. (٢) خاض: أي تكلم.
(٣) وفي رواية «لا يكتوون» أي لا يستعملون الكي في البدن للتداوي.
(٤) الاسترقاء: طلب الرقية للتداوي. (٥) التطير: أي التشاؤم.
(٦) قال النووي رحمه الله: اختلف العلماء في معنى هذا الحديث فقال الإمام أبو عبد الله المازري: احتج بعض الناس بهذا الحديث على أن التداوي مكروهٌ ومعظمُ العلماء على خلاف ذلك واحتجوا بما وقع في أحاديث كثيرة من ذكره ﷺ لمنافع الأدوية والأطعمة كالحبة السوداء والقسط والصبر وغير ذلك وبأنه ﷺ تداوى وبإخبار عائشة رضي الله عنها بكثرة تداويه وبما علم من الاستشفاء برقاه وبالحديث الذي فيه أن بعض الصحابة أخذوا على الرُّقية أجرًا، فإذا ثبت هذا حمل ما في الحديث على قوم يعتقدون أن الأدوية نافعة بطبعها ولا يفوضون الأمر إلى الله تعالى. وذهب أبو سليمان الخطابي وغيره إلى أن المراد من تركها توكلاً على الله تعالى ورضاء بقضائه وبلائه، قال الخطابي: وهذه من أرفع درجات المحققين بالإيمان، قال القاضي عياض: وهذا ظاهر الحديث ومقتضاه، انتهى ملخصًا (شرح مسلم ٣/ ٩٠).
(٧) الفتح ١٤/ ١٩٨ ومسلم ١٩٩.

أَهْلُ الجنةِ الجنةَ فيقالُ لهُ: ادْخُلِ الجنَّةَ، فيقولُ: أَيْ رَبِّ كيفَ؟ وقد نَزَلَ الناسُ منازِلَهُمْ وأَخَذُوا أَخَذَاتِهِم[١] فيقالُ لَهُ: أَتَرْضَى أَنْ يكونَ لَكَ مِثْلُ مُلْكِ مَلِكٍ من مُلُوكِ الدُّنيا فيقولُ: رضيتُ رَبِّ فيقولُ: لَكَ ذلِكَ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ فقالَ في الخامِسَة: رَضيتُ رَبِّ فيقولُ: هذا لَكَ وَعَشَرَةُ أَمثالِهِ ولَكَ ما اشتَهَتْ نَفْسُكَ وَلَذَّتْ عَيْنُكَ فيقولُ: رَضيتُ رَبِّ. قالَ: رَبِّ فأَعْلاهُمْ مَنْزِلَةً؟ قالَ: أُولئِكَ الذينَ أَرَدْتُ[٢] غَرَسْتُ كرامَتَهُمْ بِيَدِي وَخَتَمْتُ عليها فلم تَرَ عَيْنٌ ولم تَسْمَعْ أُذُنٌ ولم يَخْطُرْ على قَلْبِ بَشَرٍ» قالَ: ومِصْداقُهُ في كتابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السَّجدَة: ١٧] الآيَةَ. رواه مسلم[٣].

٨٨ ـ وعن أبي هُريرةَ رَضيَ اللَّهُ عنهُ قالَ: قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «قالَ اللَّهُ عَزَّ وَجلَّ: «أَعْدَدْتُ لِعِبادِيَ الصالِحِينَ ما لا عَيْنٌ رَأَتْ ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ ولا خَطَرَ على قَلْبِ بَشَرٍ فاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾» [السجدة: ١٧] متفق عليه[٤].

ذكرُ أبوابِها

وأبوابُ الجنةِ ثمانيةٌ وقد تَقَدَّمَ أنَّ ما بينَ جانِبَيِ البابِ كما بين مكةَ وهجرٍ أو كما بين مكةَ وبُصرى[٥]، وسيُدعى الصالحونَ كلٌّ بما سبق به من التطوُّعِ فمن كان من أهل الصدقةِ دُعي من بابِ الصدقة ومن كان من أهل الصيامِ دعي من بابِ الرَّيَّان وسُيدعى قومٌ من جميع تلك الأبواب ولعلهم السابقون.

(١) أخذاتهم: أي ما أخذوه من كرامة مولاهم وما حصلوه.
(٢) أردت: أي اخترت واصطفيت. (٣) مسلم ١٧٦.
(٤) الفتح ٧/ ١٣١ ومسلم ٢١٧٤.
(٥) ما بين مكة وهجر ١١٦٠كم وما بين مكة وبصرى ١٢٥٠كم تقريبًا.

قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣].

وقَالَ اللَّهُ تَعالَى: ﴿هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾﴾ [صٓ: ٤٩، ٥٠].

٨٩ ـ وعن أَبي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عنه أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قالَ: «من أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ في سبيلِ اللَّهِ نُودِيَ من أبوابِ الجنَّةِ: يا عبدَ اللَّهِ هذا خيرٌ، فمن كانَ من أَهْلِ الصلاةِ دُعِيَ من بابِ الصلاةِ ومن كانَ من أَهْلِ الجهادِ دُعِيَ من بابِ الجهادِ ومن كانَ من أَهْلِ الصيامِ دُعِيَ من بابِ الرَّيَّانِ ومن كانَ من أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ من بابِ الصَّدَقَةِ» فقالَ أَبو بَكْرٍ رَضي اللَّهُ عنهُ: بِأَبي أَنْتَ وأُمِّي يا رسولَ اللَّهِ، ما عَلَى من دُعِيَ من تلكَ الأَبوابِ من ضَرورَةٍ[1] فهل يُدْعَىٰ أَحَدٌ من تلكَ الأَبوابِ كُلِّها؟ قالَ: «نَعَمْ وأَرْجُو أَنْ تَكونَ مِنْهُمْ» متفق عليه[2].

قال الحافظُ ابنُ حجرٍ: في الحديثِ إشعارٌ بقلةِ من يدعى من تلك الأَبوابِ كلِّها وفيه إشارةٌ إلى أَنَّ المرادَ ما يُتطوَّعُ بهِ من الأعمالِ المذكورةِ لا واجباتِها لكثرةِ من يجتمع له العملُ بالواجبات كلِّها بخلاف التطوعات فَقَلَّ من يَجْتَمِعُ له العملُ بجميع أنواعِها ثم من يجتمع له ذلك إنما يُدعى من جميعِ الأبوابِ على سبيلِ التكريمِ له وإلا فدخولُه إنما يكونُ من بابٍ واحدٍ ولعلَّهُ بابُ العملِ الذي يكون أغلب عليه. والله أعلم[3].

٩٠ ـ وعن سهلِ بْنِ سعدٍ رَضِيَ اللَّهُ عنه قالَ: قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «إنَّ في الجنةِ بابًا يقالُ لَهُ الرَّيَّانُ يَدْخُلُ منهُ الصائِمُونَ يومَ القِيامَةِ لا يَدْخُلُ معهُم أَحَدٌ

---

(١) جملة معناها ما عليه من ضرر ولا خوف. (٢) الفتح ٥/١٣ ومسلم ٧١٢.
(٣) الفتح ٨/٢٦.

غيرُهُمْ يقالُ: أَيْنَ الصَّائِمُونَ؟ فَيَدْخُلُونَ منهُ، فإذا دَخَلَ آخِرُهُمْ أُغْلِقَ فلم يَدْخُلْ مِنْهُ أَحَدٌ» متفق عليه(١).

درجاتُها

ودرجاتُ الجنةِ كثيرةٌ، وما بينَ الدرجتين كما بين السماءِ والأرضِ، منها مائةُ درجةٍ للمجاهدين ودرجاتٌ أُخرىٰ للمؤمنين والعلماء.

قالَ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ﴾ [طٰه: ٧٥].

وقالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: ١١].

وقالَ اللَّهُ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾﴾ [النساء: ٩٥، ٩٦].

٩١ ـ وعن أَبي هُريرةَ رَضي اللَّهُ عنه قالَ: قالَ النبيُّ ﷺ: «مَن آمَنَ باللَّهِ وبِرَسُولِهِ وأَقَامَ الصَّلاةَ وصامَ رمضانَ كانَ حَقًّا على اللَّهِ أن يُدْخِلَهُ الجَنَّةَ جاهَدَ في سبيلِ اللَّهِ أو جَلَسَ في أَرْضِهِ التي وُلِدَ فيها» فقالوا: يا رسولَ اللَّهِ أَفَلا نُبَشِّرُ النَّاسَ؟ قالَ: «إِنَّ في الجنَّةِ مائةَ درجَةٍ أَعدَّها اللَّهُ للمجاهدين في سبيلِ اللَّهِ ما بينَ الدَّرجتينِ كما بيَن السَّماءِ والأَرضِ فإذا سأَلْتُمُ اللَّهَ فاسْأَلُوهُ الفِرْدَوْسَ فإنهُ أَوْسَطُ الجنةِ وأَعْلَى الجنةِ» أُراه قالَ: «وفوقَهُ عَرْشُ الرَّحْمٰنِ ومنهُ تَفَجَّرُ أَنهارُ الجَنَّةِ» رواه البخاري(٢).

٩٢ ـ وعن عبد اللَّهِ بن عمرو بن العاص رَضي اللَّهُ عنهُما قالَ: قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «يُقالُ لِصاحِبِ القرآنِ: اقْرَأْ وارْقَ وَرَتِّلْ كما كُنْتَ تُرَتِّلُ في

---

(١) الفتح ٥/١٣ ومسلم ٨٠٨.
(٢) الفتح ٦/٣٥١.

الدنيا فإِنَّ مَنزِلَكَ عندَ آخِرِ آيةٍ كُنْتَ تَقْرَؤُهَا» رواه أحمد[١] وصححه الألباني[٢].

عُلو غُرفها

قالَ اللَّهُ تعالَى: ﴿لَكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ﴾ [الزُّمَر: ٢٠].

٩٣ ـ وعن أبي سعيدِ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عنهُ أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «إِنَّ أَهْلَ الجنةِ لَيَتراءَوْنَ أَهْلَ الغُرَفِ من فَوْقِهِم كما تَتراءَوْنَ الكوكبَ الدُّرِّيَّ الغابِرَ[٣] في الأُفُقِ مِنَ المَشْرِقِ أو المَغْرِبِ لِتفاضُلِ ما بينهم» قالوا: يا رسولَ اللَّهِ تِلْكَ منازِلُ الأنبياءِ لا يَبْلُغُهَا غيرُهُم؟ قالَ: «بَلَى والذي نَفْسي بيدِهِ رجالٌ آمنوا باللَّهِ وَصدَّقوا المُرسَلينَ» متفق عليه[٤].

مأكلُ أَهلِها

قالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَـٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَكَانُواْ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ[٥] مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَـٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [الزخرف: ٦٨ - ٧٣].

وقالَ اللَّهُ جلَّ ثَناؤُهُ: ﴿وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلسَّـٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ[٦] ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَـٰبِلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ[٧] ﴿١٨﴾ لَّا

---

(١) المسند ٢/ ١٩٢.
(٢) صحيح الجامع ٦/ ٣٤٩.
(٣) الغابر: أي الذاهب المتدلي للغروب.
(٤) الفتح ٧/ ١٣٧ ومسلم ٢١٧٧.
(٥) الصحفة: واحدة الصحاف، شبه قصعة عريضة.
(٦) موضونة: أي منسوجة بالذهب.
(٧) أي خمر من عين جارية معين.

يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ(١) ﴿١٩﴾ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ
عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا
﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ(٢) ﴿٢٨﴾
مَّنضُودٍ(٣) ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا
مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ(٤) ﴿٣٤﴾ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا(٥) أَتْرَابًا(٦) ﴿٣٧﴾
لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ(٧) ﴿٤٠﴾﴾ [الواقعة: ١٠ – ٤٠].

٩٤ ـ وعن جابرِ بْنِ عبد اللَّهِ رَضي اللَّهُ عنهُما قالَ: سمعتُ النبيَّ ﷺ يقولُ: «إنَّ أَهْلَ الجنةِ يأْكُلُونَ فيها وَيَشْرَبُون ولا يَتْفِلُونَ ولا يَبُولُونَ ولا يَتَغَوَّطُونَ ولا يَمْتَخِطُونَ» قالُوا فما بالُ الطعامِ؟ قالَ: «جُشاءٌ(٨) وَرَشْحٌ كَرَشْحِ المِسْكِ يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ والتَّحْمِيدَ كَما تُلْهَمُونَ النَّفَسَ» رواه مسلم(٩).

خيامُها وجنانُها وتربتُها

٩٥ ـ عن أبي موسى الأشعَريِّ رَضي اللَّهُ عنهُ أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «إنَّ لِلْمُؤمِنِ في الجَنَّةِ لَخَيْمَةً من لُؤلُؤةٍ واحِدَةٍ مُجَوَّفَةٍ طولُها سِتُّونَ ميلًا، لِلْمُؤمِنِ فيها أَهْلُونَ يَطُوفُ عليهِمُ المُؤمِنُ فَلَا يَرَى بَعْضُهمْ بَعْضًا» متفق عليه(١٠).

٩٦ ـ وعن أنسِ بنِ مالكٍ رَضي اللَّهُ عنه قالَ ـ وساقَ حديثَ الإسراءِ ـ قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «ثم انطَلَقَ بي جِبريلُ حتى نأْتِيَ سِدرَةَ المُنْتَهى، فَغَشِيَها أَلوانٌ لا أَدرِي ما هِيَ، قالَ: ثم أُدْخِلْتُ الجنةَ فإذا فيها جَنابِذُ(١١) اللُّؤلُؤِ وإذا تُرابُها المِسْكُ» متفق عليه(١٢).

---

(١) أي لا تصدع رؤوسهم ولا تنزف عقولهم. (٢) أي لا شوك فيه.
(٣) الطلح شجر عظام بالحجاز واحدته طلحة وقيل هو الموز والله أعلم ومنضود: أي متراكم الثمر.
(٤) أي عالية وطيئة ناعمة. (٥) أي متحببات إلى أزواجهن.
(٦) أي على ميلاد واحد.
(٧) أي جماعة من الأولين وجماعة من الآخرين. (٨) التجشؤ: تنفس المعدة عند الامتلاء.
(٩) مسلم ٢١٨٠. (١٠) الفتح ١٠/ ٢٤٨ ومسلم ٢١٨٢.
(١١) الجنابذ: هي القباب والخيام. (١٢) الفتح ٧/ ١٨٥ ومسلم ١٤٩.

٩٧ ـ وعن أبي موسى الأشعريِّ رَضي اللَّهُ عنه أنَّ رَسولَ اللَّهِ ﷺ قالَ: «جَنَّتَانِ من فِضَّةٍ آنِيَتُهما وما فيهِمَا وجَنَّتَانِ من ذَهَبٍ آنِيَتُهما وما فيهما، وما بينَ القومِ وبينَ أَنْ يَنْظُروا إلى رَبِّهم إِلَّا رِداءُ الكِبرياءِ على وجهِهِ في جَنَّةِ عَدْنٍ» متفق عليه[1].

صفةُ شجرِها

٩٨ ـ عن أبي سعيدٍ الخدريِّ رَضي اللَّهُ عنهُ عن النبيِّ ﷺ قال: «إنَّ في الجَنَّةِ شجرةً يسيرُ الراكبُ الجَوادَ المُضَمَّرَ[2] مائَةَ عام ما يَقْطَعُها» متفق عليه[3].

٩٩ ـ وعنْ أَبي هُريرةَ رَضي اللَّهُ عنه قالَ: قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «ما في الجنَّةِ شَجَرَةٌ إِلَّا وَسَاقُها من ذَهَبٍ» رواه الترمذي[4] وقال: هذا حديث حسن غريب. وصححه الألباني[5].

صفةُ سُوقِها

١٠٠ ـ عن أَنسِ بْنِ مالكٍ رَضي اللَّهُ عنهُ أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قالَ: «إنَّ في الجنةِ لَسوقًا يأْتونَها كُلَّ جُمعَةٍ فَتَهُبُّ رِيحُ الشَّمالِ فَتَحْثُو في وُجُوهِهِمْ وثيابِهِم فيزدادون حُسْنًا وجَمالًا فَيرجِعُونَ إِلى أَهلِيهِمْ وقد ازدادوا حُسْنًا وَجمالًا فيقولُ لَهم أَهلُوهُمْ: واللَّهِ لقد ازْدَدْتُم بَعْدَنَا حُسْنًا وجمالًا فيقولونَ: وأَنْتُمْ واللَّهِ لقد ازْدَدْتُم بعدَنَا حُسْنًا وجَمالًا» رواه مسلم[6].

(١) الفتح ١٧/٢٠٦ ومسلم ١٦٣.
(٢) تضمير الفرس: أي أن تعلفه حتى يسمن ثم ترده إلى القوت وذلك في أربعين يومًا.
(٣) الفتح ١٤/٢١٥ ومسلم ٢١٧٦.
(٤) السنن ١٠/٣.
(٥) صحيح الجامع ٥/١٥٠.
(٦) مسلم ٢١٧٨.

صفةُ قصورِها

قالَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٧٢].

١٠١ ـ وعن جابرِ بْنِ عبد اللهِ رَضي اللَّهُ عنهما قالَ: قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «دخلتُ الجنةَ فإذا أَنا بِقصرٍ من ذَهَبٍ فقلتُ: لِمَنْ هذا؟ فقالوا: لِرَجُلٍ من قُرَيْشٍ فما مَنعني أَنْ أَدْخُلَهُ يا ابنَ الخطَّابِ إلَّا ما أعلَمُ من غيرَتِكَ» قالَ: وَعَلَيْكَ أَغارُ يا رَسولَ اللهِ[١]؟ متفق عليه[٢].

صفةُ أنهارِها

قالَ اللَّهُ جلَّ ثَناؤُهُ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ[٣] مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا[٤] ﴿٣١﴾﴾ [الكهف: ٣٠، ٣١].

وقالَ اللَّهُ تعالَى: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ[٥] وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا[٦] فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾ [محمَّد: ١٥].

١٠٢ ـ وعن أنسِ بْنِ مالكٍ رَضي اللَّهُ عنهُ قالَ: قالَ رسولُ اللَّهِ: «دَخَلْتُ الجنَّةَ فإذا أَنا بِنَهرٍ حافَّتاهُ خِيامُ اللُّؤْلُؤِ فَضَرَبْتُ بِيَدِي إلى ما يَجري فيه

---

(١) أي: ومنك أغار يا رسول الله. (٢) الفتح ١٦/ ٧٥ ومسلم ١٨٦٢.
(٣) السندس: لباس رفاع رقاق كالقمصان وأما الإستبرق فغليظ الديباج وفيه بريق والله أعلم.
(٤) أي حسنت منزلاً ومقيلاً ومقامًا. (٥) الماء الآسن: أي المتغير والمنتن.
(٦) أي حارًا لا يُستطاع.

الماءُ فإِذا مِسكٌ أَذْفَرُ[(١)] قلتُ: ما هذا يا جبريلُ؟ قالَ: هذا الكوثرُ الذي أعطاكَهُ اللَّهُ» رواه أحمد[(٢)] وصححه الألباني[(٣)] وأصله في الصحيح[(٤)].

صفةُ الحورِ العينِ

قالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ[(٥)] عِينٌ[(٦)] ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ[(٧)] ﴿٤٩﴾﴾ [الصافات: ٤٨، ٤٩]. وقالَ اللَّهُ تعالَى: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ[(٨)]﴾ [الرَّحمٰن: ٧٢] وقالَ اللَّهُ جَلَّ ثَناؤُهُ: ﴿هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ[(٩)] ﴿٥٢﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ[(١٠)] ﴿٥٤﴾﴾ [صٓ: ٤٩ - ٥٤]. وقالَ اللَّهُ جَلَّ ثَناؤُهُ: ﴿وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾﴾ [الواقعة: ٢٢، ٢٣].

١٠٣ ـ وعن أنسِ بْنِ مالكٍ رَضِيَ اللَّهُ عنهُ عن النبيِّ ﷺ أَنَّهُ قالَ: «لَرَوْحَةٌ في سبيلِ اللَّهِ أو غَدْوَةٌ[(١١)] خيْرٌ من الدُّنيا وما فيها، ولقابُ قَوْسِ[(١٢)] أَحدِكُمْ من الجَنَّةِ أو مَوْضِعُ قِيْدٍ ـ يَعْني سَوْطَهُ ـ خَيْرٌ مِنَ الدُّنيا وما فيها. ولو أَنَّ امرأةً من أهلِ الجَنَّةِ اطَّلَعَتْ إلى أَهْلِ الأَرْضِ لأَضاءَتْ ما بَيْنَهُما وَلَمَلأَتْهُ رِيحًا، وَلَنَصِيفُها[(١٣)] على رَأْسِها خيرٌ مِنَ الدُّنيا وما فيها» رواه البخاري[(١٤)].

---

(١) أي طيب الريح.
(٢) المسند ٣/ ١٠٣.
(٣) صحيح الجامع ٣/ ١٤١.
(٤) الفتح ١٠/ ٣٦٢.
(٥) أي عفيفات لا ينظرن إلى غير أزواجهن.
(٦) أي حسان الأعين.
(٧) أي كبياض البيض المكنون ورقته حين ينزع القشر عنه والله أعلم.
(٨) أي محبوسات في خيام اللؤلؤ لا يردن غير أزواجهن ولا يطمحن إلى مَن سواهم.
(٩) أي متساويات في السن.
(١٠) أي لا انتهاء لهذا النعيم ولا زوال ولا انقضاء.
(١١) الغدوة من الغدو وهو الخروج في أي وقت كان من أول النهار إلى انتصافه والروحة من الرواح وهو الخروج في أي وقت كان من زوال الشمس إلى غروبها.
(١٢) أي قدره؛ وقيل: القاب ما بين الوتر والقوس.
(١٣) أي خمارها.
(١٤) الفتح ٦/ ٣٥٥.

١٠٤ ـ وعن أنسِ بْنِ مالكٍ رَضي اللَّهُ عنهُ عن النبيِّ ﷺ قالَ: «يُعْطَى المؤمِنُ في الجنَّةِ قُوَّةَ كَذَا وَكَذَا مِنَ الجِماعَ» قيلَ: يا رَسُولَ اللَّهِ أَوَ يُطيقُ ذَلِكَ؟ قالَ: «يُعْطَى قُوَّةَ مائَةٍ» رواه الترمذي[١] وصححه الألباني[٢].

١٠٥ ـ وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنَّ رسُولَ اللَّهِ ﷺ قالَ: «إنَّ أزواجَ أهل الجنَّةِ ليُغَنِّيَنَّ أزواجهنَّ بأَحسن أصواتٍ ما سمعها أَحدٌ قط، إن مما يغنين: نَحنُ الخَيِّراتُ الحسانُ، أزواجُ قَومٍ كرام، يَنْظُرْنَ بِقُرَّةِ أَعْيانٍ، وإن مما يُغَنِّينَ به: نحنُ الخالداتِ فلا يَمُتْنَهْ، نَحنُ الآمِنات فلا يَخَفْنَهْ، نحنُ المقيماتُ فلا يَظْعَنَّه» رواه الطبراني في الأوسط وصححه الألباني[٣].

١٠٦ ـ وعن أَبي هُريرةَ رضيَ اللَّهُ عنه قالَ: قيل يا رسول الله، هل نَصلُ إلى نِسائِنا في الجنَّة[٤]؟ فقالَ: «إنَّ الرَّجُلَ لَيصل في اليوم إلى مائَةِ عذراء» رواه أبو نعيم في صفَةِ الجنَّة وقال الضياء المقدسي: رجاله عندي على شرط الصحيح ووافقه الألباني[٥].

دوام نعيم أهلها

قالَ اللَّهُ تباركَ وتعالَى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّلِحَتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَرُ خَلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَّهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾ [النِّساء: ٥٧].

١٠٧ ـ وعن أبي سعيد الخُدْرِيِّ رَضي اللَّهُ عنهُ أَنَّ النبيَّ ﷺ قالَ: «إنَّ اللَّهَ يقولُ لأَهْلِ الجنةِ: يا أَهْلَ الجنةِ فيقولونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنا وَسَعْدَيْكَ والخَيْرُ في يَدَيْكَ، فيقولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فيقولونَ: وما لَنا لا نَرضَى يَا رَبِّ وقد أَعْطَيْتَنَا ما لَمْ تُعْطِ أَحدًا من خَلْقِكَ، فيقولُ: أَلَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ من ذَلِكَ؟ فيقولونَ: يا

---

(١) السنن ١٠/ ١٠.
(٢) المشكاة ٣/ ٩٠.
(٣) صحيح الجامع ٢/ ٤٨.
(٤) هو كناية عن الجماع.
(٥) الأحاديث الصحيحة، حديث ٣٦٧.

رَبِّ وأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ من ذلِكَ؟ فيقولُ: أُحِلُّ عليكُمْ رِضْوانِي فلا أَسْخَطُ عليكم بَعْدَهُ أَبَدًا» متفق عليه[1].

١٠٨ ـ وعن أبي سعيدٍ وأَبي هُريرَة رَضي اللَّهُ عنهُما عن النبيِّ ﷺ قالَ: «يُنادِي مُنادٍ: إِنَّ لَكُم أَن تَصِحُّوا فَلا تَسْقَمُوا أبدًا، وإِنَّ لَكُن أَنْ تَحْيَوا فلا تَمُوتُوا أَبَدًا، وإِنَّ لَكُم أَنْ تَشِبُّوا فَلا تَهرَمُوا أَبَدًا وإِنَّ لَكُم أَنْ تَنعَمُوا فلا تَبْأَسُوا أَبدًا» فـذلِكَ قـوْلُهُ عـزَّ وَجـلَّ: ﴿وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعرَاف: ٤٣]. رواه مسلم[2].

١٠٩ ـ وعن أَبي هُريرةَ رَضيَ اللَّهُ عنهُ عن النبيِّ ﷺ قالَ: «من يَدْخُلِ الجَنَّةَ يَنْعَمُ لا يَبْأَسُ. لا تَبْلَى ثِيابُهُ ولا يَفْنَى شَبَابُهُ» رواه مسلم[3].

١١٠ ـ وعن زيد بْنِ أَرْقَم رضيَ اللَّهُ عنهُ قالَ: قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الرجُلَ من أَهلِ الجنةِ لَيُعطَى قُوَة مائَةِ رجل في الأكل والشربِ والجماعِ والشهوةِ» فقال رجل من اليهود إنَّ الذي يأكُلُ وَيَشْرَبُ تكونُ منهُ الحاجَة فقالَ: «يفيضُ من جلدِهِ عرقٌ فإذا بطنُهُ قد ضَمُرَ» رواه الدارمي[4] وصححه الألباني[5].

أعظمُ كراماتِها

قالَ اللَّهُ عَزَّ وَجلَّ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣].

١١١ ـ وعن صهيبِ بْنِ سنانٍ الروميِّ رَضي اللَّهُ عنهُ عن النبيِّ ﷺ قالَ: «إذا دَخَلَ أَهْلُ الجنةِ الجنةَ، قالَ: يقولُ اللَّهُ تباركَ وتعالَى: تُريدونَ شيئًا أَزيدُكُم؟ فيقولونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وجوهنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الجنةَ وتُنَجِّنا من النَّارِ؟ قالَ: فَيَكْشِفُ الحِجَابَ فما أُعطُوا شَيْئًا أَحبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجلَّ» رواه

(١) الفتح ١٤/ ٢١٢ ومسلم ٢١٧٦.
(٢) مسلم ٢١٨٢.
(٣) مسلم ٢١٨١.
(٤) السنن ٢/ ٣٣٤.
(٥) المشكاة ٣/ ٩٠.

مسلم[١] وزاد في رواية: ثُمَّ تَلا هذهِ الآيَةَ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾[٢] [يونس: ٢٦].

تساؤل أهل الجنة عن المكذبين

فبينما أهلُ الجنةِ على سُرُرِهم متقابلين والخدمُ يطوفونَ عليهم بأطيبِ المآكلِ والمشاربِ، تَذَكَّرَ أحدُهم صاحبًا له من المكذبين بيومِ الدينِ وما كان يَسْخَرُ به من أُمورِ البَعْثِ والحسابِ والجنةِ والعذابِ فنادى منادٍ: هل أنتم مطَّلِعون؟ فاطَّلَعوا فإذا بالمكذِبِ في وَسَطِ الجَحيمِ. فحينئذ يقول صاحبُه من أهلِ الجنةِ: تالله إن كِدتَ لتَرُدين. أي لَقَدْ كِدْتَ أن تُهْلِكَني لو أطعْتُكَ ولولا فضلُ اللَّهِ عليَّ لصِرْتُ مثلُكَ في سواءِ الجَحيمِ.

قالَ اللَّهُ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الصافات: ٤٠ - ٦١].

لمثل هذا فليَعمل العامِلُون

نَعَمْ يا عبدَ الله وفي ذلك فلْيتنافسِ المتنافِسُونَ، ولهذهِ الجنةِ فليَقُمِ القائمونَ وليَصُمِ الصائمونَ ولْيَتَصَدَّقِ المتصدِّقون وليستعففِ الذين هُم لِرَبِّهم يَرْهَبُون. أَمَّا هذه الدنيا يا عبد الله فدارُ غرورٍ خداعةٌ مدبرةٌ فانيةٌ. وأما الآخرةُ

(١) مسلم ١٦٣.
(٢) مسلم ١٦٣.

فمقبلةٌ باقيةٌ. هل علمتَ الآن سببَ قولهِ ﷺ: «لَوْ تَعْلَمُونَ ما أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا ولَبَكَيْتُمْ كثيرًا[١]» إن كنتَ قد قرأتَ هذهِ الرسالةِ فأنا على يقين أنك قد علمت.

ألا فاعزلْ يا عبدَ الله عن سبيلِ الغيِّ وأَقبِلْ على اللطيفِ الخبيرِ، وتُبْ وأَصْلِحْ ما دام في العمرِ فسحةٌ فإنَّكَ يا عبدَ الله لا تَدري لعلك لا تُصبحُ بعد إمسائك ولا تُمسي بعد إصباحك.

عن أبي هُريرةَ رَضي اللَّهُ عنهُ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ أنه قالَ: «قالَ اللَّهُ عَزَّ وَجلَّ: أنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بي، وأَنَا مَعَهُ حَيْثُ يَذْكُرُني، واللَّهِ، للَّهُ أَفْرَحُ بتوبةِ عبدِهِ من أَحَدِكُمْ يَجِدُ ضَالَّتَهُ بالفَلاةِ وَمَن تَقَرَّبَ إليَّ شِبْرًا تَقَرَّبْتُ إليهِ ذِرَاعًا، ومَن تَقَرَّبَ إليَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إليهِ باعًا وإذا أَقْبَلَ إليَّ يَمْشِي أَقْبَلْتُ إلَيْهِ أُهَرْوِلُ»[٢].

﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾﴾ [الزمر: ٥٣ - ٥٩].

(١) الفتح ١٤/١٠٢.
(٢) مسلم ٢١٠٢.

المراجع

١ ـ **القرآن الكريم**.

٢ ـ **أحكام الجنائز**. محمد ناصر الدين الألباني. بيروت ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٩م.

٣ ـ **الأحاديث الصحيحة**. محمد ناصر الدين الألباني. طبعة المكتب الإسلامي.

٤ ـ **الترغيب والترهيب**. أبو محمد زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي المنذري. القاهرة ١٣٧٩هـ ـ ١٩٦٠م.

٥ ـ **الروح**. أبو عبد الله شمس الدين ابن قيم الجوزية. بيروت ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م.

٦ ـ **المستدرك**. أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري. الرياض.

٧ ـ **تفسير ابن كثير**. بيروت ١٣٨٩هـ ـ ١٩٧٠م.

٨ ـ **سنن ابن ماجه**. أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني. القاهرة ١٣٧٢هـ ـ ١٩٥٢م.

٩ ـ **سنن أبي داود**. سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي. طبعة دار الفكر.

١٠ ـ **سنن الدارمي**. أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمٰن بن الفضل بن بهرام الدارمي. طبعة دار إحياء السنة النبوية.

١١ ـ **صحيح الجامع الصغير**. جلال الدين عبد الرحمٰن بن أبي بكر السيوطي. تحقيق الألباني ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٩م.

١٢ ـ **صحيح مسلم**. أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري. القاهرة ١٣٧٤هـ ـ ١٩٥٥م.

١٣ ـ **صحيح مسلم بشرح النووي**. القاهرة. طبعة المكتبة المصرية.

١٤ ـ **عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي**. بيروت طبعة دار العلم للجميع.

١٥ ـ **فتح الباري بشرح البخاري**. القاهرة ١٣٧٨هـ ـ ١٩٥٩م.
١٦ ـ **مسند الإمام أحمد بن حنبل**. بيروت ١٣٨٩هـ ـ ١٩٦٩م.
١٧ ـ **مشكاة المصابيح**. ولي الدين محمد بن عبد الله الخطيب العمري التبريزي. دمشق ١٣٨٠هـ ـ ١٩٦١م.

فهرس المحتويات

مقدمة المؤلف ٣

العذابُ وَالنعيم في البرزَخ

أحوال الاحتضار وصعود الأرواح وما يكون من العذاب والنعيم في القبر . ٧
سؤالُ المَلَكَيْن ١٠
المنكر والنكير حق ١٠
ضغطة القبر وضمّته ١١
صورٌ من عذابِ البَرْزَخِ ١١
أقوال السَّلف في عذاب القبر ١٤
بيان مستقر الأرواح ما بين الموت إلى يوم القيامة وتفاوتها فيه ١٥

قيَامُ السَاعَة

قيام الساعة على شرار الناس ٢٠
النفخ في الصور ٢١
لا يعلم ما بين النفختين إلا الله عزّ وجلّ ٢٢

أهوَالُ القيَامَة

ويلٌ يومئذٍ للمكذبين ٢٤
قبضُ السمٰواتِ والأَرضِين ٢٥

صفة أرض الحشر ٢٦
يُحشر الناس يومئذ مشاة حفاة عراة غُرْلًا ٢٦
يُحشر الكفار على وجوههم ٢٦
دُنُوُّ الشمسِ من الخلائقِ وما يكونُ من العَرَقِ ٢٧
الإتيان يومئذ بجهنم ٢٨
الذين يُظِلُّهم الله تعالى في ظله يوم لا ظل إلا ظله ٢٨
أول من يُدعى يوم القيامة آدم وإخراج بعث النار ٢٩
عذاب مانع الزكاة يومئذ ٣٠
حوضُ النبيِّ ﷺ يومَ القيامةِ ٣٢
طعامُ أهلِ الجنةِ يومَ القيامةِ ٣٤
شفاعة النبيِّ ﷺ في إدخال من لا حساب عليه من أُمته الجنة ٣٥
سؤالُ النبيِّ ﷺ رَبَّهُ عَزَّ وَجَل زيادةَ عددِ الذين يدخلون الجنة من أُمته بغير
حساب وإجابة الكريم الوهاب ٣٨
أُمةُ محمدٍ ﷺ أول من يُحاسَبُ من بين الأُمم ٣٨
من صُوَرِ الحساب ٣٩
كُفْرُ المتبوعِ بالتابعِ ٤٠
تبرؤ الملائكةِ من المشركين ٤١
عجزُ الأوثانِ عن نصرِ الكافرين ٤١
تبرؤ المسيحِ عليه السلامُ ممن اتَّخذه وأُمَّه إلٰهين من دون الواحد القهار ٤٢
من فضائل هذه الأُمةِ شهادتُهم على الأُممِ يومَ القيامةِ ٤٣
مناقشةُ الحسابِ ٤٤
السؤالُ يومئذ عن خمسٍ ٤٤
وكذلك اليوم تُنسى ٤٥
من نُوقِشَ الحساب عُذِّب ٤٦

لا تُرْجُمانَ بين العبدِ وبين ربهِ عزَّ وجلَّ ٤٦
أول ما يُحاسَب الناس به يومئذ ٤٦
الحساب اليسير ٤٧
أول ما يُقضى بين الناسِ يَومَئِذٍ في الدماءِ ٤٨
كيفية القصاصِ يومئذٍ ٤٨
المراؤون أول الناس يقضي عليهم يوم القيامة ٤٩
المصوّرون من أشدِّ الناسِ عذابًا يومئذ ٤٩
يا ابنَ آدمَ مرضتُ فلم تَعُدْني ٥٠
صِبْغَةُ النار وصِبْغَةُ الجنةِ ٥٠
قِصَرُ يومِ القيامةِ على المؤمنين ٥١
صفةُ حسابِ رجل ممّن شاء الله تعالى أن يغفر له بالرغم من كثرة سيئاته ٥١
الأمر باتّباعِ كل أُمةٍ ما كانت تعبدُ وسقوطُ الكفارِ في النارِ، وكشفُ الساقِ، وتحوُّلُ الخلائقِ من الموقفِ والمرورُ على الصراطِ وشفاعة النبيِّ ﷺ والنبيين والملائكةِ عليهم السلامُ والمؤمنين وشفاعةُ أَرحمِ الراحمين ٥٢
حديثُ الصراطِ ٥٣
روايةٌ أُخرى لحديثِ الصِّراطِ ٥٥
شفاعةُ النبيِّ ﷺ في إخراجِ المؤمنين من النارِ ٥٧
شفاعةُ النبي ﷺ في أهلِ الكبائرِ من أُمَّتِهِ ٥٩
أسعدُ الناسِ بشفاعةِ النبيّ ﷺ ٥٩
إخراجُ العصاةِ الموحدين من النار بعد موتهم فيها رحمةً من عند الله تعالى ٦٠
أصحابُ الأعرافِ ٦١
القنطرةُ بينَ الصِّراطِ والجنةِ ٦٢
النارُ يدخُلها الجبارون والجنةُ يدخُلها الضعفاءُ ٦٣

صِفَة النار وَأهلهَا

تلاعن المشركينَ في النار ٦٤
تَبرُّؤُ الشيطانِ من أتْباعِهِ في النارِ ٦٦
حسرةُ أَهلِها ٦٦
دوامُ عذابِها ٦٧
أَصفادُها وَقَطِرَانُها ٦٨
شجرةُ الزَّقُّومِ ٦٨
صديدُها ٦٩
عقوبةُ الذين يأمرون بالمعروف ولا يفعلونه وينهَوْن عن المُنْكَرِ ويأْتونه ٧٠
بُعْدُ قَعْرِها ٧٠
إحاطَةُ النارِ بأهلِها ٧٠
أهونُ أهلِ النارِ عذابًا ٧١
تفاوتُ العذابِ فيها ٧١
شدةُ حَرِّها ٧١
صفةُ خلقِ الكافرِ فيها ٧٢
النساءُ أكثرُ أهلِ النارِ ٧٢

صِفَة الجنَّة وَأهلهَا

النبيّ ﷺ أولُ الناسِ دخولًا الجنةَ ٧٣
صفة أول زُمرة يدخلون الجنة وعددهم ٧٤
ذكرُ ما لأدنىٰ أهلِ الجنةِ منزلةً من الكرامةِ وما لأعلاهم ٧٥
ذكرُ أبوابِها ٧٦
درجاتُها ٧٨
عُلُو غُرفها ٧٩
مأكلُ أَهلِها ٧٩

خيامُها وجنانُها وتربتُها ٨٠
صفةُ شجرِها ٨١
صفةُ سُوقها ٨١
صفةُ قصورِها ٨٢
صفةُ أنهارها ٨٢
صفةُ الحورِ العينِ ٨٣
دوام نعيم أهلها ٨٤
أعظمُ كراماتِها ٨٥
تساؤل أهل الجنة عن المكذبين ٨٦
لمثل هذا فليَعمل العامِلُون ٨٦
المـراجـع ٨٩
فهرس المحتويات ٩١